الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامعـــة غلـــــــيزان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية

محاضرات في مقياس (فقه اللغة)

الموجه للسنة الأولى جذع مشترك

من تأليف الدكتورة: **بن عدة فاطمة**
أستاذة محاضرة (أ)

الموسم الجامعي: 2024/2023

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي رقم 10.

وافق المجلس العلمي لكلية الآداب واللغات المنعقد في دورته العادية بتاريخ 2024/05/21 على اعتماد الحامل البيداغوجي المقدم من الأستاذ: بن عدة فاطمة من قسم اللغة العربية بعنوان : محاضرات في مقياس فقه اللغة .

رئيس المجلس العلمي

د. بن شماني محمد
رئيس المجلس العلمي
لكلية الآداب و اللغات

فهرس المحاضرات:

المحاضرة الأولى: فقه اللغة المفهوم والمصطلح
المحاضرة الثانية: بين علم اللغة وفقه اللغة
المحاضرة الثالثة: جهود العلماء في التأليف في اللغة العربية
المحاضرة الرابعة: نظريات نشأة اللغة
المحاضرة الخامسة: اللغة العربية واللغات السامية
المحاضرة السادسة: الدلالة والصوت
المحاضرة السابعة: النّبر في اللغة العربية
المحاضرة الثامنة: الأبنية والأوزان في اللغة العربية
المحاضرة التاسعة: اللفظ والمعنى
المحاضرة العاشرة: التّرادف في اللغة العربية
المحاضرة الحادية عشر: المشترك اللفظي
المحاضرة الثانية عشر: التّضاد
المحاضرة الثالثة عشر: الاشتقاق مفهومه وأنواعه
المحاضرة الرابعة عشر: الدّخيل و المعرّب
المحاضرة الخامسة عشر: الإعراب وبناء الكلمة في العربية.

المحاضرة الأولى:
فقه اللغة المفهوم والمصطلح

مصطلح فقه:

الفقه هو العلم بالشيئ، والفهم له، والفطنة فيه. يقال: فَقه الرجل فقاهة إذا صار فقيها، وفَقه أي فَهم فهمًا"[1] بعض العلماء يرى أن الفقه أخصّ من العلم، قال الراغب الأصفهاني:" الفقه هو التوصّل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخصّ من العلم"[2] الفقه هم الفهم والتفهم للشياء وكل ما يحيط بنا أو هو في أذهاننا، ضفى إلى ذلك الفقه يُتوصل به إلى علم غائب وهو استخراج الأحكام من أدلة تفصيلية من الكتاب والسنة عند الفقهاء، لذلك عدّ ذا خصوصية من العلم"[3] التوصل إلى ماهو غائب استدلالا واستخراجا لأحكام المكلف هي خصوصية الفقه.

وردت كلمة (فقه) في القرآن الكريم 20 مرة تحمل المعاني السابقة منها قوله تعالى:{ **إِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**}[4] غلب استعمال (الفقه) على علوم الدين لشرفها، وذلك من باب تخصيص الدلالة"[5] خص الفقه بعلوم الدين لشرف المطلوب.

---

[1]– الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تح مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د س، ص40.

[2]– محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، ط1، 2005، ص17.

[3]– إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص28.

[4]– سورة الإسراء، الآية 44.

[5]– محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، ص17.

تعريف اللغة:

اللغة مشتقة من لغا يلغو: إذا تكلّم، فمعناها الكلام"[6] فهذا تعريفها في اللغة.

أما اصطلاحا فأشهر تعريفاتها تعريف ابن جني(ت392ه) حين قال:"حدّ اللغة: أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم". هذا التعريف يدل على أنها:

1/ أصوات منطوقة. 2/ وظيفتها التعبير عن الأغراض

3/ تعيش بين قوم يتفاهمون بها 4/ لكل قوم لغة"[7]

إضافة إلى الإشارات، وتعبيرات الوجه، إلا أن الأشهر هو حصر اللغة في الأصوات المنطوقة لأن غيرها محصور محدود.

نجد بعض بعض المحدثين يعرّفها بقوله:" أنها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تُختَزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين"[8] ويعرفها أحمد مختار عمر أنها:" معنى موضوع في صوت" أما تعريفاتها عند اللغوين الغربيين فنجد العالم الأمركي إدوارد سابير بقوله:" أنها وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية إطلاقا لإيصال الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية".

تعريف فقه اللغة:

لغة: هم فهم اللغة، والعلم بها وإدراك كنهها.

اصطلاحا: يطلق فقه اللغة في الاصطلاح على العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة من حيث: أصواتها، ومفرداتها، وتراكيبها، وفي خصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية والمعجمية، وما يطرأ عليها من تغييرات وما ينشأ من لهجات وما يثار حول العربية من قضايا وما تواجهه من مشكلات.

---

[6]– ابن منظور، لسان العرب، ج15 ص251.

[7]– عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص60.

[8]– حاتم الضامن، علم اللغة، بيت الحكمة، وزارة التعليم العالي، العراق، د ط، د س، ص32.

يبدو أن كلمة (فقه) قد انتقلت من المعنى اللغوي بمعنى الفهم أو التعمق في المعرفة إلى علماء اللغة القدماء، أو لعلها انتقلت بالمعنى الاصطلاحي أي العلم بأصول الدين إلى بيئة اللغويين فاستخدموها وهم يقصدون الفهم العميق للغة أو العلم بأصول اللغة وخصائصها قياسا على العلم بأصول الدين، ومن ثم أصبحت تدل عندهم على التعمق في فهم ومعرفة أسرار اللغة العربية وأصولها وخصائصها"[9] عملية التحوّل والانتقال في عالم الألفاظ ليس غريبا ولا مفاجئا، لذا انتقال لفظة (فقه) من حلقة الأصوليين إلى حلقة اللغويين مع المحافظة على دلالة الفهم العميق والخوص في الأصول.

مصطلح (علم اللغة):

هناك مصطلح آخر يرد في بعض المؤلفات الحديثة مقابلا لمصطلح (فقه اللغة) وهو (علم اللغة)، فبعض المؤلفين المُحدَثين يفرق بين المصطلحين، وبعضهم يجعلهما شيئا واحدا، باعتبار أن العلم والفقه شيئ واحد.

الحقيقة أن هذا الخلاف طارئ على العربية، إذ الكلمتان من الناحية اللغوية معناهما واحد، وقد وردتا في تراثنا اللغوي، فلابن فارس كتاب بعنوان (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) وهو أول كتاب يصل إلينا يحمل في عنوانه مصطلح (فقه اللغة) لم يعلّل لنا سبب التسمية، أما الصّاحب نسبة إلى الصّاحب بن عبّاد الذي أهداه إليه"[10]

كتاب الثعالبي (429هـ) (فقه اللغة وسرّ العربية) وهو الثاني الذي يحمل في عنوانه مصطلح (فقه اللغة) وتسمى بهذا الاسم وفقا لاختيار الأمير الذي أهداه إليه يقوله: (...ما اختاره الممدوح أدام الله توفيقه من فقه اللغة وشفّعته سرّ

---

[9]– حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، د س، ص12.

[10]– إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص29.

العربية ليكون اسما يوافق مسمّاه ولفظا يطابق معناه)"[11] يظهر أن صاحب الكتاب في دلالة (فقه اللغة) الحامل لها اسم الكتاب فيه نجد الغوص في عمق اللغة والبحث الحثيث عن أصولها، مع أنه أهداه وشفّعه بمقدمة لممدوحه.

ثالثها: كتاب ابن جني (ت392هـ) (الخصائص) وهو أقرب الكتب القديمة إلى كتب فقه اللغة.

يقابل هذا الكتاب (المزهر في علوم اللغة) للسيوطي، لم يقصد السيوطي مخالفة ابن فارس بل كانا يرميان إلى أهداف متقاربة من خدمة العربية وبيان خصائصها، والوقوف على سنن العرب في كلامهم، والحديث عن القضايا اللغوية العامة"[12] إذا استخدم اصطلاح (علم اللغة) فإنما يعني به المرادف لفقه اللغة بناء على المعنى اللغوي ولا مشاحة في الاصطلاح.

[11]– إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص29.

[12]– إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص29.

المحاضرة الثانية:

بين علم اللغة وفقه اللغة

يبدو ظاهريا أن علم اللغة هو نفسه فقه اللغة سواء عند القدما أو المحدثين من العرب، لكن يبدو أنه "لم يسلم المصطلحين من خلط أدى إلى اضطراب في فهم كل علم وفي تحديد ميدانه؛ فرأينا من يكتب كتابا في (فقه اللغة) وهو يعني (علم اللغة) مع شيئ من التوسع في استعمال هذا المصطلح؛ إذ يعرض فيه لبحوث تتعلق بحياة اللغة وما يطرأ عليها من تغيرات، ولبحوث تتعلق بدراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة، ولبحوث تتعلق بدراسة اللغة من حيث دلالتها"[13]

ثم رأينا من يكتب كتابا في (فقه اللغة) و"يقرنه بعنوان توضيحي هو دراسة تحليلة مقارنة للكلمة العربية، ويعرض فيه للأصوات اللغوية وللإشتقاق، وللأبنية والأوزان، ومعاني الألفاظ"[14] وهي مواضيع تختص بدراسة اللغة العربية وأكثر مانجد هذه المواضيع في كتب التراث

هناك اختلاف بين اللغويين المحدثين حول المفهومين، منهم من رأى بالتسوية بينهما وأنهما شيئ واحد، ومنهم من رأى التفرقة وكل منهما يسير في اتجاه.

1/ اتجاه التسوية:

ظل مستمرا عند بعض الباحثين المحدثين، منهم: علي عبد الواحد وافي الذي يقول: "أما بحوث علم اللغة نفسه فقد درس المؤلفون من العرب بعضها تحت أسماء مختلفة أشهرها (فقه اللغة) وهده التسمية هي خير ما يوضع لهذه

---

[13]– عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د س، ص09.

[14]– عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص09

البحوث، فإن فقه الشيئ هو كل ما يتّصل بفلسفته وفهمه والوقوف على ما يسير عليه من قوانين"[15] ليس هناك من فرق بينهما، فهما شيئ واحد كما يرى.

ها هو صبحي الصالح: يقول:" من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة، لأن جلّ مباحثهما تدا لدى طائفة من لعلماء في الشرق والغرب قديما وحديثا...وإذا التمسنا التفرقة بين هذين الضربين من ضروب الدراسة اللغوية وجدناها تافهة لا وزن لها...لأن كل علم لشيئ فهو فقه"[16] البحث عن فروق بين فقه اللغة وعلم اللغة لم نجد، لإن الفهم والفقه والعلم بالأشياء شيئ واحد عند صبحي الصالح.

2/ اتجاه التفرقة بينهما:

إن كل من علي عبد الواحد وافي، وصبحي الصالح يسوّون بين المصطلحين (فقه اللغة) و (علم اللغة) فهناك باحثين ميّزوا بينهما.

كمال بشر: يذهب إلى أن مصطلح (فقه اللغة) كان يعني في القديم نوعين رئيسيين من الأبحاث اللغوية، يشمل أولهما البحث في المعجمات وما إليها، بالإضافة إلى مشكلات المفردات من حيث معانيها وأصالتها، وسماتها، وترادفها، ونحتها، واشتقاقها، وصورها المجازية والحقيقية، ويتضمن الثاني الدراسات العامة التي تعدّ مقدمة للعلوم أو ممهدة لها كالكلام على اللهجات، ووظيفة اللغة، وأصلها، ومصادرها، وفكرة القياس، والتعليل ثم يقول:" فلم يزل فقه اللغة يعني البحث في هذه القضايا وأضرابها" دراسات في علم اللغة، ص48.

عبده الراجحي: في كتابه (فقه اللغة في كتب العربية) يقول:"وغني عن البيان الآن أن هناك فؤق واضحا بين موضوعي العلمين ومنهجيهما في درس

---

[15]– إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص30.

[16]– صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط، 2009، ص19–20.

اللغة، وهذا التفريق ينبغي أن يكون واضحا عند بحث المنهج اللغوي عند العرب"[17] الفرق بيّن وواضح بحسب عبده الراجحي كون التفرقة بين بحث العرب والغرب بينهما فرق واضح.

فقه اللغة عند الغربيين:

الفيلولوجيا (philology) أو فقه اللغة كما ترجم المصطلح إلى اللغة العربية في العصر الحديث مصطلح يتألف من كلمتين يونانيتين رُكّبتا معا وهما: (philo) بمعنى محب أو صديق (logos) بمعنى الكلام أو الكلمة، أي أن الترجمة الحرفية لهذا المصطلح تعني: صديق الكلام أو محب الكلمة"[18] تحمل (الفيلولوجيا) دلالة صدق الكلام ومحبّته، لذا انتقلت تلك الدلالة مع الزمن لتستعمل عند الغرب بهذا المفهوم؛ وإن كانت هذه "الكلمة: (philologie) قد تحدّدت عند الألمان بدراسة النصوص اللغوية دراسة تاريخية مقارنة؛ لمحاولة فهمها والاستعانة بذلك في دراسة الفروع اللغوية الأخرى"[19] يبدو أن دراسة النصوص تاريخيا باعتماد منهج مقارن مع الاعتماد أحيانا على علوم أخرى.

يرى "ماريو باي أن موضوع فقه اللغة (philology) لا يختص بدراسة اللغات فقط، ولكن يجمع إلى ذلك أيضا دراسات تشمل الثقافة والتاريخ، والنتاج الأدبي للغات موضوع؛ أما علم اللغة (Linguistics) فيركّز على اللغة نفسها، ولكن مع إشارات عابرة أحيانا إلى قيم ثقافية وتاريخية"[20]

لهذا يمكن أن نستنتج بعض الحقائق حول هذا المصطلح عند الغربيين:

---

[17]– عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص29.

[18]– حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، ص41.

[19]– رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، مصر، ط6، عام 1999، ص09.

[20]– رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص10.

1- مصطلح الفيلولوجيا (philology) كان يدل في العصور القديمة على دراسة وتحليل النصوص وتحقيقها مع دراسة تاريخية لبعض الكلمات بالإضافة إلى شرح معاني بعض المفردات وربطها بعض الحقائق التاريخية والجغرافية.

2- في نهاية ق18م اكتشف العلماء الأوربيون أن اللغة السنسكريتية لغة الهند القديمة لها علاقة باللغتين اليونانية والاتينية وبعض اللغات الأوربية الأخرى، ومنذ ذلك التاريخ ظهر ما يسمى بفقه اللغة المقارن () أو الفيلولوجيا المقارنة، وكانت هذه الدراسات تعتمد على دراسة اللغات المكتوبة وأهملت إهمالا تاما اللغات الحية أو اللغات المنطوقة.

3- ارتبطت الدراسات الفيلولوجية بالنظريات العلمية السائدة في عصرها وبخاصة نظرية (داروين) في تطور الكائنات الحية وكذا النظريات الأنتروبولوجية بحيث أصبحت هذه النظريات من أدوات البحث الفيلولوجي طوال القرنين 18 و19م، فكان علماء اللغة أو بمعنى أدق الفيلولوجيين ينظرون غالبا إلى الظواهر اللغوية على أنها تشبه الكائنات الحية في تطورها وهو إقحام لحقائق غير لغوية في دراسة اللغة.

4- كان الإسهام الحقيقي لعلماء فقه اللغة أو الفيلولوجيين هو اكتشاف صلة القرابة بين اللغات الإنسانية وذلك حينما اكتشفوا العلاقة بين اللغة السنسكريتية واللغات اليونانية واللاتينة وبعض لغات أوربا، ومن ثم قسموا لغات العالم القديم والحديث إلى عائلات لغوية كل عائلة منها يندرج تحتها عدد من اللغات تنحدر من أصل واحد تنسب إليه"[21] البحث عن اللغات الإنسانية عن طريق تحرّي العلاقة بين اللغات المُكتشفة، مع الاجتهاد في تصنيف العائلات اللغوية هو ما عمل عليه الفيلولوجيين.

[21]- حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، ص47.

علم اللغة:

علم اللغة (linguistics) "ويطلق عليه أحيانا اسم (علم اللغة العام) (General linguistics)...تعالج فيه عادة قضايا اللغة، مجردة عن الارتباط بأية لغة من اللغات؛ فاللغة التي يبحث فيها هذا العلم، ليست هي اللغة العربية، أو الإنجليزية، أو الألمانية، وإنما هي :اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" كما يقول دي سوسير، هي اللغة التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات كثيرة، ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني"[22] يهتم علم اللغة بقضايا اللغة بشكل مباشر من منطلق اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

يعرف علماء اللغة في العصر الحديث علم اللغة (linguistics) بأنه العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية (linguistics the scientific study of language)، ثم يتوقفون طويلا أمام مصطلح العلمية ومصطلح اللغة"[23] العلمية أو المنهج العلمي هو مجموعة من الإجراءات أو الأساليب التي يعتمد عليها أي باحث في دراسة ظاهرة من الظواهر.

يبدو أن كلام العلمين لا ستغني عن الآخر، ذلك "إن علم اللغة من أهم الوسائل المساعدة للدراسات الفيلولوجية من جانب، ومن جانب آخر فإنه علم قائم بذاته، له وظيفة معينة وطرق وميادين معروفة، ولا يستغني علم اللغة عن الفيلولوجيا، لأن أهم مصادره هي النصوص اللغوية، والعلاقة وثيقة بين العلمين، إلى درجة أن الاستعمال الشائع للكلمتين لا يكاد يفرق بينهما"[24] لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، فكلاهما مساعد لصاحبه، ذلك أن علم اللغة مساعد لفقه اللغة في مراحل كثيرة وميادين عديدة.

---

[22]– رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص11.

[23]– حلمي خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص49.

[24]– رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص10.

المحاضرة الثالثة:

جهود العلماء في التأليف في اللغة العربية

يعتبر اللغوي "نسبة إلى اللغة، ويقال لمن يعرف اللغة والأدب: لغوي، ويقصد باللغويين أساسا المشتغلون بجمع ألفاظ العرب، ومعرفة دلالاتها، واشتقاقها، وتصريفها، لكنه يدخل فيهم من يشتغل بلسان العرب عامة، كالنحاة، والصّرفيين، والبلاغيين، والأدباء وغيرهم"[25] فهمخ فئة وضعت على عاتقها خدمة اللغة والاشتغال بها عبادة وعلما.

يعتبر ق2هـ بداية النشاط الفعلي لجمع اللغة، والتأليف فيها؛ السبب الوجيه هو شيوع اللحن بسبب دخول غير العرب إلى الاسلام، فشاع الخطأ، لهذا "هبّ اللغوين يجمعون اللغة ويدونونها، فارتحلوا إلى ابوادي التي لم يختلط أهلها بالأعاجم، وشافهوا الأعراب ودنوا عنهم اللغة"[26] الخوف على قدسية اللغة العربية من أن تدنّس بفعل العجمة الآتية من الأمم غير العربية، وربما يدخل فيها بعض التساهل مع ألفظ اللغة من قبل مستعمليها.

أبرز اللغويين الذين عنوا بجمع اللغة:

1- عبد بن إسحاق الحضرمي (ت117هـ)
2- عيسى بن عمر (ت149هـ)
3- أبو العلاء بن العلاء (ت154هـ)
4- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)
5- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت180هـ)
6- يونس بن حبيب (ت182هـ)

---

[25]- محمد الشيخ عليو محمد، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية ق04هـ، مكتبة دار المناهج، السعودية، ط1، 1427هـ، ص48.

[26]- محمد إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، ص35.

7- علي بن حمزة الكسائي (ت189هـ)

8- الفراء (ت207هـ)

9- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)

10- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت213هـ)

نوعية التأليف: كل واحد من العلماء كانت له طريقة في التأليف:

1/ منهم من كان يجمع الألفاظ تحت باب واحد : كالوحوش، أو السيوف، أو النخل، كالشاء والإبل والخيل وخلق الإنسان للأصمعي.

2/ منهم من يجمع في كتاب عدة أبواب، كالنوادر والهمز والمطر لأبي زيد القرشي.

3/ من تلك المؤلفات ما يتناول إحدى ظواهر اللغة كالهمز، أو الأضداد، كمعاني القرآن، المنقوص، الممدود، الأيام، الليالي، الشهور، المذكر والمؤنث للفراء.

4/ منها ما يتناول الغريب ككتب :غريب القرآن، أو غريب الحديث، كغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام.

5/ منها ما كان على شكل نوادر أو أمالٍ، كمعاني القرآن للأخفش"[27]

[27]- محمد إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، ص36.

المحاضرة الرابعة:

نظريات نشأة اللغة

لا يتحقق وجود اللغة إلا بوجود المجتمع الإنساني، وكذلك في –الآن نفسه– لا يتحقق وجود المجتمع الإنساني إلا بوجود اللغة، ومن ثم فإن اللغة لا يمكن فهمها –بشكل ملائم– إلا على ضوء الحقيقة الإنسانية الاجتماعية. فاللغة إنعكاس للمجتمع الذي يستخدمها، كما أنها تعكس بنيته الذهنية، وترسّخ من استمراريته هذه البنية"[28] يتحقّق الفهم بشكل مباشر بربطها بالإنسان المستعمل لها، فهي حقيقة معبرة عن المجتمع.

اللغة نظام بنيوي من الأصوات التي تستخدم أو يمكن أن تستخدم في الاتصال الشخصي المتبادل وسط مجموعة من البشر، والتي تكاد تستنفذ تسمية الأشياء والأحداث والعمليات الواقعة في المحيط الإنساني.

معنى التعبير: (نظام بنيوي) هنا أن اللغة تقوم على مجموعة من القوانين والعلاقات التي تحكم مستوياتها المختلفة: المستوى الصوتي، الصرفي، النحوي، الدلالي. هذا المستويات يهيمن عليها إحكام داخلي حسب قواعد التناسق والترتيب والتصنيف، وهذا الإحكام الداخلي هو ما أسماه الفيلسوف العربي (ابن سينا) "التأليف المخصوص"، وترجع مهمة الكشف عن هذا النظام، وعن طبيعة العلاقات التي تحكم عناصره على عاتق اللسانيين"[29] اللغة ذات طبيعة بنيوية الناتج عن ذلك النظام المخصوص الذي يدل على الترابط بين المستويات اللسانية.

---

[28]– محي الدين محسّب، إنفتاح النسق اللساني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص12.

[29]– محي الدين محسّب، إنفتاح النسق اللساني، ص14.

لعل من الاهتمامات المتنوعة بالظاهرة اللغوية قد جعلت الوصول إلى تعريف دقيق ومركّز للغة أمرا بالغ الصعوبة والتعقيد، لكن هذا التعدّد قدّم لنا جملة من الخصائص الأساسية والوظائف الجوهرية لظاهرة اللغة"[30] رغم الجهود المبذولة يظل الوصول إلى تعريف نهائي للغة صعب المنال، لتعدّد وتداخل العلوم المستعملة لها.

الفلاسفة: يرون اللغة من زاوية اتّصالها بالفكر، فهي عندهم وسيلة نقله، وطريق التعبير عنه.

المناطقة: يدرسون قوانين التفكير وانعكاسها على اللغة.

علماء الاجتماع: يهتمون بالطبيعة الاجتماعية للغة ودورها في قيام مجتمع ما، وفي تحديد أنماط علاقات أعضائه.

علماء النفس: تشغلهم زاوية تأثير اللغة والتفكير والذاكرة.

منظروا الحضارة: ينظرون إلى اللغة من جهة تأثيرها في عمليات الصراع الحضاري، والتعبير الثقافي وعلاقتها بطبيعة المكان، ودوافع الهجرات، وقضايا التأثير الحضاري"[31] في خضم هذه التعاريف تظل اللغة عصية على الراغبين في الوصول إلى تعريف نهائي لها.

أصل اللغة:

كثيرا ما قاد الظمأ المعرفي الإنسان إلى محاولة الوصول إلى أصول الأشياء، ولقد كان البحث عن أصل اللغة عبر عصور الإنسان مجال افتراضات وتصورات وصلت أحيانا إلى دروب من الأصاطير"[32] رغم ما أثير حول أصل

---

[30]– محي الدين محسّب، إنفتاح النسق اللساني، ص14.

[31]– محي الدين محسّب، إنفتاح النسق اللساني، ص14.

[32]– محي الدين محسّب، إنفتاح النسق اللساني، ص31.

اللغة إلى أن الإجماع النهائي على أصل لها يظل ضربا من المستحيل، كون تعدّد الافتراضات شكّل عائقا للوصول إلى رأي موحّد.

يخبرنا المؤرخ اليوناني الشهير (هيرودوت ق5 ق.م) أن ملكا مصريا يدعى (بيسماتيك) قام بعزل طفلين حديثي الولادة، وبعد حوالي عامين من عزلهما بدأ الطفلان يردّدان كلمة: بيكوس BECOSE، وعندما سأل الملك عن اللغة التي ترد فيها هذه الكلمة وعن معناها، قيل له إنها في اللغة الفريجية تدل على الخبز، ومن ثم اتعبر هذه اللغة هي اللغة الإنسانية الأولى.

محاولة مماثلة قام بها الإمبراطور (فريدريك2) (1250/1194)، وقام بالثانية ملك إسكتلندي يدعى (جمس4) (1513/1473) انتهت المحاولة الأولى بالفشل، أما الثانية فقد انتهتى بإشاعة وهي أنهم نطقوا باللغة العبرية.

ويعدّ العالم النفسي الألماني (فيلهم فونت) (1920/1832) صاحب محاولة متميزة في وضع أساس لتصنيف النظريات التي دارت حول قضية أصل اللغة، وهو في السياق:

يميز بين نظرية الاختراع (INVENTION)

ونظرية المحاكاة(IMITATION)

ونظرية المعجزة(MIRACULOUS)

ونظرية التطور (EVOLUTIONARY)

1/ نظرية التوقيف والإلهام:

عند القائلين بهذه النظرية "أن اللغة الإنسانية إلهام، ووحي من الله عز وجل، لا يد للإنسان في وضعها؛ فهو أعجز من ذلك؛ فهي إذا توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها. ولهذه النظرية أنصارها منذ أقدم العصور؛ فهي تنسب للفيلسوف

اليوناني (هيراكليت ت480 ق.م)"[33] الوحي والإلهام اعتبر كرأي أولي لأصل اللغة، حيث يرى أصحابه أن مصدرها إلهي مُكتمل الأركان لا دخل للبشر فيه.

ما يثير العجب أن " يتبنى اليونان هذه النظرية وهو وثنيون، لا يؤمنون بدين سماوي أو بإله يعلم أنبياءه اللغة. ولعل اعتقادهم هذا مردود إلى إيمان فريق منهم بالمثالية التي آثرها أفلاطون على الواقعية الأرسطية. لقد اتهم أفلاطون البشر بالعجز عن صنع اللغة، تلك المعجزة التي لم يستطع أن يجد لها تحليلا وتعليلا يقنعان العقل اليوناني، ولهذا رأى أن اللغة توفيقية، لا يستطيع الإنسان إبداعها، ولا تقوى إمكانياته على صنعها"[34] أن يرى اليونان بالأمر فيه ريبة، كونهم لا يؤمنون بالإله، ومرد ذلك أنهم يرون في البشر العجز عن الإتيان باللغة، لذلك ربطوها بعالم المُثل.

من اللغويين العرب نجد أحمد ابن فارس (ت395هـ) وأبو علي الفارسي معتمدين على أدلة منها: "أن الله تعالى لقّن آدم عليه السلام أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات التي وجدت غلى الآن والتي ستوجد إلى قيام الساعة كالعربية والإنجليزية والفارسية وغريرها. أن الله تعالى علم آدم أسماء الكائنات من حوله من دابة وأرض وسهل وجبل وأشباه ذلك. أن الله تعالى علمه كيفية تقطيع الأصوات وتكوين الكلمات في جميع اللغات. أن الله تعالى علمه من اللغات ما احتاج إليه في زمانه"[35] تعليم آدم من قبل المولى عز وجل مصداقا للآية الكريمة {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا} الآية31 سورة البقرة هو ما استند عليه ابن فارس وغيره من القائلين بالتوقيف الإلهي.

---

[33]– محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه موضوعاته، ص57.

[34]– عبد الغفار حامد هلال، العربية وخصائصها وسماتها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5، 2004، ص47.

[35]– عبد الغفار حامد هلال، العربية وخصائصها وسماتها، ص24.

يبدو أن أحمد ابن فارس كان أشد تعلقا بهذه النظرية، قال "أقول إن لغة العرب توقيف" واحتجّ بالآية، ولك يطتف بعزو الأصول إلى السماء، بل ذهب إلى أن اللغة العربية كلها أصولا وفروعا إلهية المنشأ، وأنها وصلت إلينا عن طريق الأنبياء على نحو متتابع حتى اكتملت بذهور الإسلام، فقال:"ثم علّم بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبيا نبيا ما شاء أن يعلمه حتى انتهى إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهكذا اكتملت لغة العرب، ثم قرّ الأمر قراره، فلا نعلم لغة من بعده حدثت"[36]

بالرغم من إيمان ابن فارس الشديد بهذه النظرية، إلا أنه يشعر أن اللغة تتغير من عصر إلى عصر طبقا لحاجات المتكلمين بها ومن ثم نراه يعبّر عن فكرة التغير اللغوي أو نمو اللغة طبقا لنظرية التوقيف المؤمن بها فيقول:"ولعل ظانا يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد، وليس الأمر كذا، بل وقف الله –جل وعزّ–آدم عليه السلام– على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علّم بعد آدن –عليه السلام– من عرب الأنبياء –صلوات الله عليهم– نبيا نبيا ما شاء الله أن يعلّمه حتى انتهى إلى نبينا محمد–صلى الله عليه وسلم– فأتاه الله –عز وجل– من ذلك ما لم يؤته أحدا قبله على ما أحسنه من اللغة المتقدمة ثم قرّ الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت"[37] يبدو أن ابن فارس وقع في شيئ من التردّد، فرضه الواقع المعرفي وهو يتعامل مع اللغة انطلاقا من استعمالها، كذلك ارتكازا على الأقوال والتفاسير التي توفرت لديه وهو يعالج الفكرة.

2/ نظرية التواضع والاصطلاح:

---

[36]– غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، عام 2000، ص46.

[37]– حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د ط، د س، ص97.

تتلخص هذه النظرية في أن "اللغة مواضعة واتفاق بين الناس؛ بحيث يصطلحون على كذا وكذا من الألفاظ. وقد قال بهذه النظرية الفيلسوف اليوناني (ديموكريت) في ق5 ق.م"[38] التفاق بين البشر على تسميات الأشياء في الواقع المُعاش هو ما ترى به النظرية.

مال إلى هذا القول من العلماء المسلمين ابن جني بقوله:"وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا؛ فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا إذا ذكر عُرف به ما مسماه؛ ليمتاز عن غيره، وليُغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين"[39] يرى ابن جني القول بالمواضعة والاصطلاح، من خلال تقديمه فرضية اجتماع الحكماء للاتفاق على تسمية الأشياء بعدها يسري اسمها على الألسن من قبل أهل اللسان.

تحليلا لقول ابن جني ولخلفيته الاعتزالية يبدو أنه "يرفض القول بأن اللغة وحي، وذلك لأن ابن جني معتزلي، والمعتزلة الذين ذهبوا إلى خلق القرآن ماكانوا ليذهبوا إلى أن اللغة وحي وإلهام، وذلك لأنه لا يتسق مع قدرة الإنسان حتى وإن كانت بالكسب، على أن هناك سببا آخر يكاد يقطع بأن أبا الفتح كان يذهب إلى أن الإنسان هو الذي وضع اللغة أو واضع عليها، وذلك أن منهجه في كتابه – وفي كتبه الأخرى– ينبني ‘لى تناول اللغة باعتبارها مادة طبيعية محسوسة مقياسها الوحيد هو الطبيعة والحس"[40] يرفض ابن القول بالتوقيف الإلهي انطلاقا من خلفيته العقائدية الاعتزالية التي ترى بالتواضع والاصطلاح وهم يتعاملون مع

---

[38]– محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه موضوعاته، ص60.

[39]– محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه موضوعاته، ص60.

[40]– عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص85.

واقع اللغة بشكلها الإطلاقي، لذا لم يستطع الانفكاك من خلفيته ورأى ما يراه أضرابه من المعتزله.

هناك جملة اعتراضات قدمت منها:

1- أن التواضع يحتاج إلى لغة سابقة يُتفاهم بها.

2- أنه لا يكون حكماء يتواضعون بدون لغة، فهذه النظرية –إذا- لا تحل المشكلة ولا تخل من المآخذ"[41]

ومهما يكن من أمر هذه النظرية فإن بعض المحدثين قد رأى أنه ليس لها أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي، بل إن ما تقرره ليتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية. فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالا ولا تخلق خلقا، بل تتكون بالتدرج من تلقاء نفسها، هذا إلى التواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون، فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل"[42] رُفضت النظرية كونها لا يمكنها أن تنطلق من عدم، وإنما تستند إلى شيئ سابق لها وهو ما يراد به التوقيف، لذا قُدّم رأي مغاير وهو نظرية المحاكاة.

3/ نظرية المحاكاة والتقليد:

تتلخص هذه النظرية بان نشأة اللغة بدأت محاكاة لأصوات الطبيعة، وتقليداللأصوات المسموعة من الحيوانات والأشجار وصوت الرعد وغيره. قال ابن جني (ت399هـ):"وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس...ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه

---

[41]- محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه موضوعاته، ص61.

[42]- محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط، 2009، ص28.

صالح، ومذهب متقبّل"[43] المحاكاة والتقليد له سند الطبيعة فهو ليس آت من العدم، وهو رأي قال به ابن جني وغيره من العلماء، رأوا فيه المَخرج لمُعضلة أصل اللغة، كون التوقيف والاصطلاح لم يأتيا بالحل النهائي.

عند القائلين بهذه النظرية "أن الإنسان بدأ مسيرته اللغوية بمحاكاة أصوات الطبيعة المعبرة عن الانفعالات كالرعب، والحزن، والفرح، ومحاكاة أصوات الحيوانات، ومظاهر الطبيعة...وكان يريد بهذه المحاكاة أن يعبر عن الشيئ الذي يصدر عنه الصوت، أو عن الحالات والملابسات التي تلازمه، مستخدما في ذلك ما زُوّد به من قدرة على إحداث أصوات مركبة ذات مقاطع"[44] الإنسان الأول وجد في الطبيعة ملاذا له في استعمال الأصوات والتّدليل على الأشياء في واقعه كي يحقّق عملية التواصل، وإلا وقع في غبن وانعدم التواصل.

خصّص ابن جني في كتابه الخصائص بابا سماه (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) قال فيه: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته.قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجُندب استطالة ومدا فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على وزن الفعلان: إنها تأتي للضطراب والحركة نحو: النّقران، والغليان، والغثيان. فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال....وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة، والصعصعة، والجرجرة، والقرقرة. ووجدت أيضا (الفَعَلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو:

---

[43]– ابن جني، الخصائص، ج1، ص99.

[44]– محمود أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، ص29.

البَشكى، الجَمزى، الوَلقى"[45] يبدو أن ابن جني حقّق نوعا من الغوص في عمق اللغة كي يُدلّل ويصل إلى رأي نهائي حول أصل اللغة.

يعتبر الدكتور إبراهيم أنيس من الداعمين لهذه النظرية في قوله:"لا يصح أن ننساق مع بعض المعترضين على هذه النظرية في تهكمهم عليها بأنها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات، وتجعل اللغة الإنسانية الراقية مقصورة النشأة على تلك الأصوات الفطرية الغريزية، لأن وراء هذه الأصوات سورا حصينا عنده في الحقيقة تبدأ لغة الإنسان ذات الدلالات المتباينة. فالمعترضون يفترضون في هذا النوع من الأصوات عقما، ولا تصلح لأن ينحدر منها تلك الدلالات الإنسانية السامية، ولكن الواقع يبرهن على أن كثيرا من كلمات اللغات الإنسانية قد انحدرت من تلك الأصوات الغريزية المبهمة، ثم سمت في تطورها ودلالتها، وأصبحت تعبر عن الفكر الإنساني"[46] يبدو أن اللغويين المحدثين فرضوا منطقهم البحثي وهم يتعاملون مع إشكالية أصل اللغة، من خلال بحوثهم.

[45]– ابن جني، الخصائص، ج1، ص47.

[46]– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص17.

المحاضرة الخامسة

اللغة العربية والغات السامية، اللغة العربية ولهجاتها

تختلف لغات الشعوب باختلاف فصائلهم، وكل لغة لها خصائصها ومميزاتها، ولكن تفطن علماء الفيلولوجيا إلى وجود صلات قرابة بين المجموعات التي تشترك فيما بينها بمجموعة من الخصائص، وكانت اللغات السامية فرع من فروع هذا التقسيم، ويطلق عليها أيضا اسم اللغات الجزرية، والتي يبدو أنها قبل أن تتفرق كانت ترجع إلى أصل واحد.

اللغات السامية

سبب التسمية:

يراد باللغات السامية (لهجات القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأردن شمالا إلى البحر العربي جنوبا، ومن خليج العجم شرقا إلى البحر الأحمر غربا. وهي منسوبة إلى سام بن نوح عليه السلام باعتبار أن جملة المتكلمين بها هم في الجملة نسله. وقد اختار الباحثون الغربيون هذه التسمية؛ حيث لاحظوا – وهم يقسمون لغات العالم– أوجه شبه بين مجموعة اللغات العربية والعبرية والحبشية والسريانية، والآشورية، والآرامية، وغيرها من اللغات؛ فاعتقدوا أنها –في الأصل– لغة واحدة، وأن أهلها يسكنون في بقعة واحدة، ثم تفرقوافي الأرض وانتشروا، واختلفت ألسنتهم، وتباينت لغاتهم. وقد اختار العالم الألماني (شلوترز) اصطلاح اللغات السامية؛ لإطلاقه على هذه اللغات، ويعد أول من استخدم هذا

الوصف، وذلك في القرن الثامن عشر ميلادي)[47] وفي هذا القول تحديد لمكان تواجد اللغات التي أطلق عليها تسمية اللغات السامية، والتي تعود ألى أصل واحد –حسب القول–، والملفت للانتباه أن هذه التسمية حديثة العهد؛ وتعود إلى القرن الثامن عشر ميلادي،

كما ويزاحم هذه التسمية وصف آخلر لهذه المجموعة من اللغات، وهو اللغات الجزرية (ويراد باللغات الجزرية: مجموعة من اللغات التي نطقت بها الشعوب التي كانت تسكن الجزيرة العربية، وهي اللغة البابلية والآشورية والعربية والعبرية والآرامية والفينيقية والحبشية، قسم منها لا يزال حي يتكلم به ملايين البشر، ويحمل كنوزا من الثقافة والادب، وقسم آخر ميت عفت آثاره)[48] مستندين في إطلاق هذه التسمية على هذه المجموعة من اللغات إلى أن شبه الجزيرة العربية موطن الشعوب التي تكلمن تلك اللغات.

الخصائص المشتركة للغات السامية:

تشرك اللغات السامية في مجموعة من الخصائص؛ وهذا ما جعل العلماء يرجعونها لأصل واحد، وأهم هذه الخصاص أنها

1- تعتمد في الكتابة على الحروف الصامتة Consonnes دون الحروف الصائتة Voyelles.
2- تتشابه تكوين الاسم من حيث عدده ونوعه، وفي تكوين الفعل من حيث زمنه، وتجرده وزيادته وصحته وعلته.
3- ترجع معظم كلماتها إلى أصل ذي ثلاثة أحرف.

---

[47] – محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه– موضوعاته– قضاياه، ،دار بن خزيمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005م، ص73

[48] – حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص24

4- تختص بالحرفين الحلقيين: الحاء والعين، وبحروف الإطباق: الصاد، والضاد، والطاء والظاء.

5- تكاد تخلوا من الأسماء المركبة تركيبا مزجيا إلا في ألفاظ العدد نحو: خمسة عشر، بخلاف اللغات الآرية.

6- تحقق الاشتقاق إما بتغيير الحركة، وإما بالزيادة في أحرف الكلمة، وإما بإنقاصها، دون أن تلتزم موضعا واحدا في هذا التغيير، بخلاف الآرية التي تتحقق فيها الاشتقاق بزيادة أدوات تدل على معنى خاص في أول الكلمة غالبا.

7- تتشابه في الضمائر وطريقة اتصالها بالأسماء والأفعال والحروف، وفي صوغ الجمل وتركيبها، وفي المشتقات كاسمي الفاعل والمفعول واسمي الزمان والمكان واسم الآلة. كما تتشابه في الكثير من المفردات، وعلى الأخص المفردات الدالة على أعضاء الجسم، وصلة القرابة، والعدد وبعض الأفعال، ومرافق الحياة التي كانت منتشرة في الشعب السامي الأم[49]

أوجه الاختلاف بين اللغات السامية

رغم تشابة اللغات السامية في عديد الصفات إلا أنها تختلف لافي كثير منها، ومن أوجه الاختلاف بينها:

1- أداة التعريف في العربية (ال) في أول الكلمة، كما نجدها في العبرية وبعض اللهجات العربية البائدة حرف (هـ) في أول الكلمة، أما في السبئية فأداة التعريف حرف النون في آخر الكلمة، وفي السريانية حرف

[49] – فقه اللغة العربية وخصائصها، إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1972م، ص113

(آ) في نهاية الكلمة. أما الآشورية والبابلية والحبشية فليس فيها أداة للتعريف مطلقا.

2- علامة الجمع في العربية للمذكر السالم الواو والنون في الرفع، والياء والنون في النصب والجر في أخر الكلمة، وفي جمع المؤنث السالم في آخر الكلمة.أما في العبرية فهي حرفا (الياء والميم) للمذكر و(الواو والتاء) للمؤنث، وفي الآرمية (الياء والنون.

3- ومن أوجه الاختلاف في الأصوات أن ذ غ ظ ض في العربية لا وجود لها في العبرية، والصوتين العبريين p و v لا يوجدان في العربية، كما أن ع ق س لا توجد في البابلية، وأغلب ما يأتي في العربية والحبشية بالشين يأتي في العبرية بالسين والعكس بالعكس[50]. وهذه بعض مظاهر التباين بين اللغات السامية رغم ما جمعها من خصائص مشتركة، وكذلك اختلافها في الألفاظ والمفردات المستعملة في كل لغة، ولكن تبقى ميزاتها المشتركة العامل الرئيس في جمعها تحت أصل واحد.

[50] – ينظر، فقه اللغة على عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط3، 2004م، ص17

اللغة العربية ولهجاتها
(تابع اللغة العربية واللغات السامية)

اللغة العربية الباقية:

اللغة العربية الباقية هي اللغة التي مازلنا نستخدمها في الكتابة والتأليف والأدب؛ ذلك أن (الإسلام صادف – حين ظهوره_ لغة مثالية مصطفاة موحدة جديرة أن تكون أداة التعبير عند خاصة العرب لا عامتهم، فزاد من شمول تلك الوحدة وقوى من أثرها بنزول قرآنه بلسان عربي مبين هو ذلك اللسان المثالي المصطفى)[51] وتحدى به الله سبحانه وتعالى العرب ببلاغتهم وفصاحتم التي طالما تغنوا وتباهوا بها، فكان الكمال للغة القرآن، الإجاز بها، فما كان للعرب المسلمين غير التدبر في آياته، والسعي لفهمها.

وما تجدر الإشارة إليه أن (أقدم النصوص الأدبية التي رصلت إلينا من هذه اللغة لا يتجاوز القرن الخامس الملادي. وهي نصوص لم تجمع وتدون على كل حال إلا بعد ظهور الإسلام، بدءا من القرن الثاني الهجري على وجه التحديد. وغير أن هذا الأقدم الذي وصل إلينا إنما يمثل اللغة العربية وقد وصلت إلى قمة ازدهارها، بعد عهود طويلة من التطور. أم طفولة هذه اللغة فما تزال غامضة

[51] – دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، دط، 2009م، ص59

مجهولة)[52] وهذا لعدم وجود الأدلة الكافية التي توضح الحالة الأولى للغة العربية ومراحل تطورها بدقة حتى وصلت إلى تلك المرحلة من الازدهار.

اللهجات العربية:

اختلف العلماء في مسألة اللهجات واللغة المشتركة، فانقسموا بين رأيين، الأول القائل أن اللغة العربية كانت عبارة عن لهجات وتوحدت، والثاني القائل بعكس ذلك أي أنها كانت موحدة وتفرعت عنها اللهجات المختلفة، ويبقى رأي الدكتور عبده الراجحي هو الأرجح والقائل بأن العربية كانت لهجات مختلفة ثم توحدت.

أهمية دراسة اللهجات

حدد اللغويون المحدثون أن أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة تكمن فيما يلي:

أ- البحث في اللهجات العربية الحديثة، يتبين منه أنها ترجع في كثير من الحالات إلى اللهجات القديمة، أكثر من رجوعها إلى اللغة الفصحى.

ب- تفيد دراسة اللهجات القديمة، في الإجابة عن السؤال العويص التالي: هل العربية الفصحى ولغة الشعر، عبارة حصيلة لهجات عدة، أم أنها لهجة قبيلة معينة، سادت واتخذها الشعراء قالبا، ينظمون فيه أشعارهم؟

ت- تفيد دراسة اللهجات في معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة، التي رويت لنا[53]

---

[52]- فقه اللغة مناهله ومسائله، محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دط، 2009م، ص134

[53] - فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط6، 1999م، ص73-74

لهجة قريش وأسباب الريادة:

ساعدت مجموعة من العوامل لهجة قريش لحضى بالريادة في مقلبل نظيراتها من اللهجات التي عاصرتها كطيء وتميم وهذيل ...، ويمكن تلخيصها فيمايلي:

- العامل الديني: فكانت مكة تضم البيت الحرام، وكانت العرب تعظمه وتحج إليه في جاهليتها وتزور أصنامه وتقدم لها القرابين.
- العامل الاقتصادي: حيث كانت مكة مركزا تجاريا، وكانت التجارة بيد قريش، وكانت رحلاتها في الصيف والشتاء معروفة، والتي أشار إليها القرآن الكريم. وهذا ما جعل لها موقعا ممتازا بين القبائل المختلفة.
- العامل السياسي: حيث أن احضانها للدين وامتلاكها المال أسبها سلطانا سياسيا قويا، وكل هذه الأسباب والعوامل تضافرت لتجعل من لهجة قريش أقوى اللهجات أكثرها تأثير في تكوين اللغة العربية الفصحى.[54] لتكون بهذا اللغة المشتركة بين جميع القبائل.

[54] – ينظر، فقه اللغة، حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد،دط، 1990م، ص43

المحاضرة السادسة:

الدّلالة والصوت

اللغة أصوات، ودراسة الأصوات أوّل خطوة في الدراسة اللّغوية، لأنّها المكوّن الأساسي للغة، وهي الوحدات الأولى التي تتركب منها النصوص، ولها تأثيرها في شكل النص ومضمونه من جهة، وتأثيرها في المتلقي من جهة أخرى؛ لأن العوامل الصوتية بتآلفها تشكّل نسقا لغويا، بحيث يتضافر في بنائه العناصر الصوتية والصرفية، والتركيبية، والأسلوبية، ليتحقق التناسق والتماسك وانسجام التراكيب.

لقد اهتمت الدراسة اللغوية منذ القديم بدراسة الصوت، بل كان دافعا أساسيا لنشأة الدراسات اللغوية العربية من جانبين اثنين، أولهما الفيزيولوجي الذي كان معروف القدماء بالمخارج، والثاني تعامل معه القدماء باسم الصفات وهو الجانب الفيزيائي، ويضاف إليهما جانب ثالث يهتم بدراسة وظيفة الأصوات وهو علم الأصوات الوظيفي؛ ذلك لأنّ (للدرس الصوتي مجالات فوق ما سبق ذكره، وأهدافا

أبعد مما تم تحقيقه)"[55]" من دراسة الصوت من جانبيه الفيزيولوجي والفيزيائي، اللّذين طالما ركّزت عليهما الدراسات الصوتية.

الصوت اللغوي:

إذا عدنا إلى تعريفه ؛ فهو (أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق)"[56]" وهذا تجاوز في تسمية هذه الأعضاء استنادا إلى وظيفتها، فهي ليست للنطق حسب، بل لها وظائف أخرى تقوم بها، كالتنفس، والمضغ، والتذوق.

أثناء دراسة الصوت ينبغي الانطلاق من جانبه الفيويولوجي لأنه (الأساس في كل دراسة لغوية)"[57]" ودراسة الصوت في هذا الجانب تعنى بأولى مراحل تكونه، وتشكيله حتى يصبح صوتا لغويا مسموعا، وذلك بالتركيز على شقيه، الصوائت والصّوامت. وهذه إشكالية دراستنا في هذا الفصل؛ لأنها أولى مكونات البنية اللغوية.

الصوت علميا هو اهتزازات في جزيئات الهواء، تنطلق من مصدر الصوت، وتنتشر حتى يلامس جزء منها طبلة الأذن؛ فالموجات الصّوتية تتولد (بفعل حركة أعضاء النطق، المنتقلة في الهواء، وتنشط التغيرات في ضغط الهواء المحيط ميكانيكية السّمع في أذن المستمع، ويزداد النشاط العصبي في دماغه، ويتغيّر تبعا

55 – المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، مكي درار، ص13.

56– علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2000م، ص119.

57– علم الأصوات، كمال بشر، ص120.

للموجات العصبية التي تستقبلها الأذن، وتتم عملية فهم الرسالة الصوتية المستقبلة)"[58]" فتصل معها الدلالة المرجوة من الخطاب المسموع.

التواصل باللغة المنطوقة هو أسمى وأرقى أنواع التواصل بين الناس، واللغة (أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم)"[59]" فهي بهذا أصوات، يعبّر بها النّاس عن أفكارهم، ومرتبطة بالفكر ارتباطا وثيقا، تنتج عنه لتؤدي عملية الاتصال بشكل صحيح وسليم، والخطابة نوع من أنواع الاتصال تتوفر فيها عناصر عملية الاتصال.

تتبني عملية الاتصال على أركان وهي المرسل، والمستقبل، والرسالة، وقناة الاتصال، والشفرة، والسياق؛ ويمكن التمثيل لأركان هذه العملية بالنموذج التالي"[60]":

عناصر عملية الاتصال

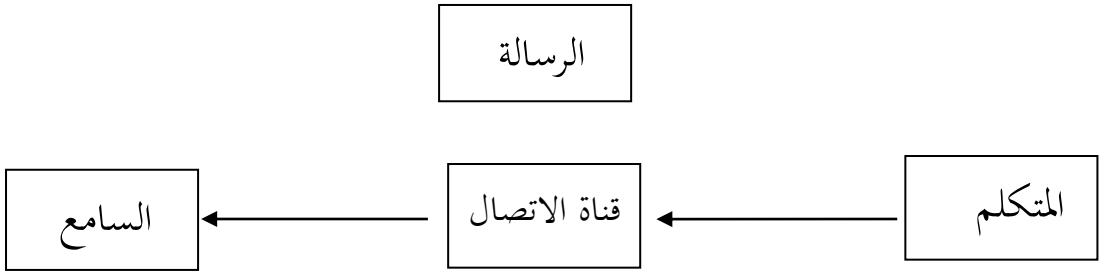

58- السمعيات العربية في الأصوات اللغوية، سعاد بسناسي، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2012م،80، عن المنظومة الكلامية بيتر ب. دنيس، إليوت بنشن، تر: محمد محي الدين حميدي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1991م، ص 18 وما بعدها.

59- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط2، 2003مج1، ص87.

60- البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2000م، ص15، بتصرف.

الشفرة

تحتل الكلمة دورًا في تشكيل البنية اللغوية، ذلك أن دلالات الألفاظ ذات ظواهر مختلفة متأرجحة بين (الترادف، والمشترك اللفظي)، حتى أن "البحث في المعنى لن يتم إلا بحضور البحث الصوتي أولا، ثم الصيغ الصرفية، فالدخول في التركيب. وهذا ما أكّده علماء العربية حين خصّصوا مباحث مستقلّة للصّوت، أو حتى أولئك الذين رسموا حدودا للفصاحة انطلاقا من المبحث الصوتي"[61] فللدّلالة الصوتية السّبق في العلاقة بين الألفاظ ومعانيها، وهذا الأمر كان العلماء على درايةٍ به حين رصَّدوا كتبهم بالحديث عنه في حدود الفصاحة.

ملاحظة الجانب الصوتي "الذي قد يؤثر على المعنى مثل وضع صوت مكان آخر، ومثل التنغيم النبر. واستمع إلى قزله تعالى في سورة يوسف بعد فقد صواع الملك: "قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين، قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاره" فلا شك أن تنغيم جملة "قالوا جزاؤه" بنغمة الاستفهام، وجملة "من وجد في رحله فهو جزاؤه" بنغمة التقرير سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان، ويكشف عن مضمونها"[62] تغيير الأصوات أو تبديلها يؤثّر على المعنى كلية، كما أنه للظواهر الصوتية مثل:التنغيم والنبر التأثير مباشر على المعاني.

---

[61]– صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية ، ص72.

[62] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص13.

مسألة الكلمة (اللفظ والمعنى) مرتبطة بالصوت، ولهذا أدرك علماء العربية القدامى الأمر بخاصة ذَوو التّوجّه المعجمي، حيث أنتجت جُهودهم عند مدرستين: أولها مدرسة معاجم الألفاظ "الذي يشرح معاني الألفاظ، ويبيّن أصلها، وما اشتقّت منه، معتمدًا في ذلك صاحبها على نظام معين في ترتيب المواد اللّغوية، أمّا الثاني فهو مدرسة معاجم المعاني، وهذه يرجع إليها من يعرف المعنى، ويرغب في معرفة اللّفظ الموضوع له"[63] القصد منها هو حراسة القرآن من أن يقتحمه خطأ في النّطق أو الفهم، وحراسة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية، وصيانة هذه الثروة من الضّياع على وجه الخصوص المعاجم الصوتية ذات التوجّه الإفرادي المعجمي. هذا ما يفسّر لنا اعتبار علماء العربية "اللغة بأنّها رموز صوتية، واعتبروا الكلمة أصغر وحدة صوتية فيها ذات معنى، وهذا التّعريف له أهمّيته، إذ ما كل منطوق لغة، وما كلّ مفهوم كلام، أي أنّ الأصوات لا تكفي وحدها لتشكيل الكلمة وإعطائها دلالاتها، ولا الدّلالة وحدها تكفي لتقوم بهذا الدور"[64] ذلك أنّ الذي يعطي للكلمة دلالتها هو الإجماع والاصطلاح بين المتكلمين واتّفاقهم على إعطائها معنى معينا، هذا المعنى يشار إليه بصيغة صوتية معينة ذات قوانين محددة تحدّد قيمته الدلالية.

يُحيلنا هذا على تصوّر مفاده بأنّه للمعنى في حياة الإنسان من الأهمّية ما لا يدركه الناس عادة إلا إذا تسلّحوا بمعرفة خاصة، وتتركّز هذه

---

[63] – محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياه، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، ط1، 2005 ، ص308، 309.

[64]– منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1991، ص60.

الأهمية على "الطرق التي يسلكها الإنسان لاستقبال المعنى، وعلى السّبل التي ينتهجها في إدراك عناصر المعنى، ثم على الأدوات التي يتوسّل بها في تأويل مقاصد المعنى، وتتركّز أخيرا على المسالك التي يتوخاها لتقديم ثمرة استفادته من المعنى"[65] وهو ما يؤكّد لنا أن المعنى له من القُدسية المعرفية التي أساسها الطرق المنتهجة في عملية الإدراك، يضاف لها الأدوات والإجراءات العاملة في الوصول إلى المقصد باعتماد إعادة القراءة.

إنّ بسط الكلام عن ثنائية اللفظ والمعنى باعتبارهما المحور الأساس الذي التفّت حوله الدراسات، ممّا يقودنا إلى تتبّع سيرورت التّاريخ بُغية معرفة الإرهاصات الأولى لظهور هذه القضية، ما نستنتجه أنّ لتأثير البيئة العقدية والفكرية أثر قويّ في تكوين الفكر العربي القديم حيث "المرجعية البيئية التي خلقت صراعا كبيرا بين فئات عديدة، فتحوّل الصّراع إلى القرطاس والقلم بدل السّيف والقوّة، وظهر ذلك بالأخصّ في مباحث الأصوليين وكذلك الأشاعرة والمعتزلة"[66] هذا باعتبارها بيئات عقائدية معرفية ذات مكنون لا يُستهان به البتّة، يأتي في طليعتها بيئة علم أصول الفقه.

حَظِي الصوت في الفكر اللغوي العربي باهتمام الدّارس العربي مع بداية اهتماماته بالعلوم وعلى رأسها الدينية، والأمر في هذا راجع إلى طبيعة المعجزة الخالدة ‹القرآن الكريم›، الذي كان تحدّيهِ صارخًا لقومٍ كان لسان حالهم يتّسم بالفصاحة والبلاغة والشعر، ابتدأت تلك المعجزة الخالدة بكلمة ‹اقرأ›، لذا فالقراءة

---

[65]– عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص12.

[66]– صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية، ص82.

"في مفهومها العام أصواتٌ معبّرة عن دلالات مُخزّنة لدى المتكلّم، منتقلة منه إلى السّامع على أساس معرفي متّفق عليه بينهما، ومن ثمّ فاللغة في أصلها وأساسها أصواتٌ تؤدّي وظيفتها المنوطة بها التي هي التّعبير، والتّبليغ، والتّواصل بين الناطقين"[67] فالقارئ يَلفُظُ أصوات حاملة لمعاني كانت كامنة في ذهن متكلّم اللغة، فهي مُتحرّكة في عالم الأعيان ومُحقّقةً للتّفاعل المعرفي العلمي والاجتماعي.

نأتي للتعرّف على الصّوت في الحقل المعرفي اللغوي، حيث جاء في كتاب العين للخليل "صوّت فلان بفلان تصويتًا أي دعاه وصات يُصوّت صوتًا فهو صائتٌ بمعنى صائح"[68] فالتّصويت بمفهوم الخليل هو النّداء بكلام مفهومٍ يفهم منه المُنادى غاية المُنادي، بينما نجد في لسان العرب قول لابن منظور يرى فيه أنّ "الصّوت الجرس، وقد صات ويصوّت و يصات صوتًا فهو صائت، فمعناه صائح، والصّوت صوت الإنسان وغيره، وكل ضرب من الغناء صوت، والجمع أصوات"[69] فالصّياح المُتضمّن لمعنى النّداء، والجرس النّابع من التصويت.

ابن فارس يرى في باب الصاد والواو وما يثلثهما أنّ "الصاد والواو والتاء أصل صحيح وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع"[70] كقراءة لمُجمل الأقوال نجد أنّها اجتمعت على الجرس والصياح وحاسّة الأذن، بالإضافة

---

[67]– مكّي درّار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار أم الكتاب، مستغانم،الجزائر، ط3، 2014، ص7.

[68] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج7، تح مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، د ط، د س، ص146.

[69] – ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص57.

[70] – ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، ص580.

إلى صدوره من الإنسان، وكلّها مُجتمعة تُحقّق معنًى ودلالة يتوخّاها الفرد المُصوّت، كما يُمكننا تعريف الصوت من عدة جوانب "فإذا نظرنا إليه نظرة المتلقّي قلنا هو ظاهرة سمعية أو مُدرك سمعي، ونعني بالظاهرة أنه شيء مُتغيّر متبدّل، أو قلنا هو مدرك سمعي أي أن الجانب الذي يهتم به هو حاسّة السّمع في مقابل غيره من الظواهر التي تدركها حواس أخرى"[71] فبين الإدراك وحاسة السمع يتأرجح الصوت.

بالمقابل إذا نظرنا إليه "نظرة علمية قلنا فيه هو اهتزازات وذبذبات وتموّجات متحرّكة منتقلة تخترق السوائل والغازات والجمادات، فالصوت تدركه الأذن في الهواء وتحت الماء ومن وراء الجدران، ويبقى الصوت مدركا سمعيًا في جميع الحالات"[72] نخلُص إذًا أنّه لكي يكون لدينا صوت فهناك الإدراك وحاسة السمع (الأذن) والمجال الذي يحدث فيه الصوت. ومن هنا يتّضح جليًّا أنّ الصوت من بين مكوّنات النّظام اللغوي العربي وله "المكانة المتفرّدة المميزة، لأن أول ما يصل إلى آذاننا من اللغة هو الصوت، وأوّل ما يلفت انتباهنا حين اتصالنا بأجنبي نطقه به"[73] وذلك من خلال حاسة السمع التي تلتقط الصوت المرسل من المتكلم إلى السامع.

---

[71] – مكّي درّار وسعاد بسناسي ، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، دار أم الكتاب، مستغانم، الجزائر، ط3،2013 ، ص12.

[72] – مكّي درّار و سعاد بسناسي ، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص13.

[73] – تحسين عبد الرضا الوزّان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب، ص65.

ابن سينا (373هـ–427هـ) في كتابه "أسباب حدوث الحروف" في حديثه عن كيفية حدوث الصّوت، لكنه اختصر كلامه؛ حيث نجد لمثل هذا الكلام عند ابن سينا حين يقول:" الصّوت سببه القريب تموّج الهواء دُفعة بسرعة وبقوّة من أيّ سبب كان. والذي يُشترط فيه من أمر القرع عساه ألاّ يكون سببًا كلّيًا للصوت، بل كأنّه سبب أكثري، ثم إن كان سببا كلّيا فهو سبب بعيد، ليس السّبب الملاصق لوجود الصوت. والدّليل على أنّ القرع ليس سببا كلّيا للصوت أنّ الصوت قد يحدث أيضًا مقابل القَرْعِ وهو القَلْعُ"[74] فالتموج الذي يُحدثه القرع والقلع في جزيئات الهواء هو سبب حدوث الصوت.

حول انتقال الصوت داخل حاسّة السّمع يضيف الشيخ ابن سينا أنّ ذلك "الموج يتأتّى إلى الهواء الراكد في الصّماخ، فَيُموّجُه فتحسّ به العصبةُ المفروشة في سطحه، فإذن العلة القريبة –كما أظن– هي التموّج؛ وللتموّج علّتان: قَرْعٌ وقَلْعٌ، وإن ذهب ذاهب إلى أنّ القلعَ يُحدث قرعًا في الهواء ورآه هو السّبب للصّوت، فليس ضعفٌ هذا القول مما يحتاج إلى أن يتكلّف الإبانة"[75] وكقراءة أوّلية لمُجمل كلام ابن سينا يتّضح أنه "قد أمعن النّظر في حدوث الصّوت ولاسِيما أنّه انطلق فيه من منطلق تشريحي"[76] بتناوله الجانب الفيزيائي والفيزيولوجي للصّوت وحدوثه وانتقاله في الهواء إلى أُذن السامع.

---

[74] – ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تح محمد حسّان الطيّان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، سوريا، د ط، د ت، ص57.

[75] – ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص58.

[76] – تحسين عبد الرضا الوزّان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب، ص67.

بذلك نجد أنّ الأصوات اللغوية عنده جاءت "مستوفية التقديم والتحليل بالوصف والتشريح، مما يُعدّ مفخرةً للغة العربية في الدراسات الصوتية في ذلك الزمان"[77] فقد جاء ابن سينا ملما بحيثيات الدّرس الصّوتي عند العرب، ما يَنمُّ عن عمق فكري وحفر معرفي بُغية الإحاطة به، وهو ما كان لهم حيث عُدّت تلك الدراسات مفخرة باعتبار أنها أمدّت الدرس الحديث بمادة دسمة للبحث.

تعرّض لهذا إخوان الصفا في حديثهم عن الصوت في قولهم: "وكل هذه الأصوات إنّما هو قَرْعٌ يحدث في الهواء عن تصادم الأجرام، وذلك أن الهواء بشدّة لطافته وخِفّة جوهره وصفاء طبعه وسُرعة حركة أجزائه، يتخلّل الجسام كلّها فإذا صدم جسمٌ جسمًا آخر، انسلّ ذلك الهواء وتدافع إلى جميع الجهات، وحدث منه شَكْلٌ كما ذكرنا أولاً، فيصل بمسامع الحيوان"[78] بهذا يكون ما ذهب إليه إخوان الصّفا في حديثهم عن الصّوت يتّفق مع تحليل ابن سينا عن انطلاق الهواء من الداخل إلى الخارج بسرعة وقوة.

حينها يصدم هذا الهواء الخارج بعائق أو علّة يحدث القرع الذي يشبه تمامًا تصادم الأجرام، "وهي نظرةٌ إلى الأثر الحسّي الذي يدركه السّامع حين تصادم جسمين، أو أن ينفصل جسم عن جسم آخر وهو أطلق عليه ابن سينا (القلع)، وهذا كلّه يوضح أمرًا متعلّقًا بإحداث الصوت لا بطبيعته"[79] بهذا يكون إخوان

---

[77] – مكّي درّار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص54.

[78] – إخوان الصّفا، رسائل إخوان الصّفا وخلاّن الوفا، ج4، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص123.

[79] – تحسين عبد الرضا الوزّان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب، ص67.

الصّفا قد تابعوا ابن سينا الذي اتّجه في تفسيره للصّوت "اتجاهين: أحدهما: قوله بمقالة (الفيزيقيين) في دراستهم للصّوت، والآخر: اتجاه علماء الطبيعة (علماء التشريح)، ويدرسه على أساس أنه ظاهرة من ظواهر الطبيعة"[80] وكل هذا جاء مستوفيًا للظاهرة الصوتية عند علمائنا القدامى الذي كانوا على وعي بالجانب الفيزيقي والجانب التشريحي الذي لهم فيه باع طويل.

ضمن المستوى الصوتي تحتلّ الدلالة الصوتية مكانة مرموقة في الفكر اللغوي العربي عامّة وعند البيضاوي بخاصّة، وهذا إدراكًا منه "لأهمّية قضايا الصّوت والمعنى وما تفرزه من قيم دلالية تعين على فهم النص القرآني الكريم، وبيان أوجه إعجازه اللغوي من جهة، وتؤكّد ما للغة العربية من وسائل كثيرة في تحديد القيم التعبيرية للأصوات وهي منتظمة داخل البنيات أو التراكيب"[81] في سياق مفيد لمعنىً مُتوخّى. ذلك أنّ "الأصوات أشكال وأوعية لمحتويات، ومراعاة علاقة الشّكل بالمحتوى واجب، من حيث المادّة والشكل والمقدار، وأشكال المباني اللغوية أصوات منطوقة مرسلة حاملة لطاقات في شكل كمّيات"[82] صوتية متشبّعة بحمولات دلالية يرسلها المرسل إلى المستقبل.

من هنا نقول عن الدّلالة الصوتية أنها "المستفادة من الأصوات اللغوية الصّادرة من جهاز النّطق وما يتركّب من هذه الأصوات من ألفاظ، ثم ما يُمكن

---

[80]– نفسه، ص68.

[81] – هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص49.

[82] – مكّي درّار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، دار أم الكتاب، مستغانم، الجزائر، طبعة خاصة، 2012 ، ص32.

لهذه الألفاظ من معاني مُكتسبة أو طبيعية"[83] دلالة الصّوت متعلّقة بخروجه من مخارج الحروف مُفكّكة ثم تُركّب حاملة لمعنى تؤدّيه في عالم اللغة أو عالم الأعيان. وبهذا تكون الدّلالة الصّوتية هي "المستفادة من تخيّر وانتقاء الأصوات المعبّرة ذات الجرس الصوتي الخاص – ومن الأداء الصوتي المُعبِّر – ومن الفصل بين جنبات التّركيب على نحو يضع حدودًا بين المعاني"[84] باعتبار اختلاف التركيب يؤدّي لاختلاف المعنى، فاللغة تتّسم بحاملية المعنى القائم في الفكر.

وجدنا في التّراث اللغوي العربي لابن جنّي حديثًا مستفيضًا عن هذه الدّلالة لكن بتسمية أخرى هي "الدلالة اللفظية" حيث قدّم تعليلاً بديعًا يُفسّر العلاقة الطبيعية بين الصّوت ودلالته ذلك أنّ "التّأليف الصوري للفظ يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يُقابله، وإن كان صعبًا تطبيقه على كلّ عناصر النظام اللغوي"[85] وذلك في فصل عنوانه "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" حيث يقول: "اعلم أنّ هذا موضعٌ شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقّفه الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحّته"[86] فبين المبنى والمعنى اتّصال وثيق؛ ذلك أنّ أيّ زيادة أو نقصان في المبنى يؤثّر بشكل مباشر على المعنى. ويضيف في سياقٍ مُتّصل:

---

[83] – صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، د ط، د س، ص49.

[84] – أحمد عبد التواب الفيومي، علم الدلالة اللغوية دراسة تطبيقية على القرآن الكريم، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة، ط1، 2010، ص191.

[85] – منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص130.

[86] – ابن جنّي، الخصائص، ج2، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، د ط، د س، ص152.

"وذلك أنّك تجد المصادر الرباعية المُضَعّفة تأتي للتكرير، نحو الزّعزعة والقلقلة، والصّلصلة، والقعقعة"[87] التّضعيف في العربية له قيمة حيث يختصّ بالزيادة في المبنى التي لها أثر مباشر على المعنى القائم في الصيغة الإفرادية.

المحاضرة السابعة:

النبر في اللغة العربية

الفونيمات فوق التركيبية:

الفونيمات فوق التركيبية، هي الظواهر الصوتية التي تظهر أثناء أداء الصوتي للكلام، لها وظيفة صوتية ودلالية هامة لما لها من دور في توصيل المراد من الرّسالة الصّوتية للمتلقي، وتكتسب التراكيب اللغوية هذه الخصائص أثناء نطقها، ومن هذه الظواهر ظاهرتي النبر والتنغيم، اللتان تندرجان ضمن الفونيمات فوق التركيبية؛ أي ليس لهما رموزا مكتوبة ضمن السّلسلة الكلامية، وظهورهما يكون من خلال نطق التركيب، وبداية التحليل والدراسة تكون مع النبر.

النبر والدّلالة التركيبية:

يرتبط النبر بعلوّ الصوت، أو ارتفاعه مما يساعد على ظهوره وبروزه، فهو كما عرفه ابن منظور (النبر عند العرب ارتفاع الصوت)"[88]" وارتبط المصطلح عند العرب القدماء بالهمز، فالنبر (مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزه. وفي الحديث: قال رجل للنبي، صلى الله عليه وسلم: يا نبيء الله، فقال: لا تنبر باسمي

---

87 – نفسه،ج2 ، ص152.

88 – لسان العرب، ابن منظور، ج5، ع1، س3، ص189.

أي لا تهمز.)"[89]" أي تحقيق نطق الهمزة، في مقابل تسهيلها عند بعض القبائل العربية كقريش التي لا تنبر؛ أي لا تنطق الهمزة.

ويُعرَّف النبر اصطلاحا، بأنّه: (نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره)"[90]" وهذا الوضوح النطقي، يستوجب بذل جهد أكبر لإظهار مقطع دون المقاطع الأخرى، و (يقتضي طاقة زائدة أو جهدا عضليا إضافيا)"[91]" وهذا الجهد العضلي الزائد، يؤدي إلى بروز المقطع الذي بذل فيه جهد أكبر، فتزداد شدته ودرجته أثناء النطق، فيسمى مقطعا منبورا.

تختلف درجات ارتفاع الصوت أثناء النطق، من مقطع صوتي إلى آخر، وهذا ما أدى إلى تقسيم النبر إلى (النبر الأولي ويرمز له بـ [/]، النبر الثانوي ويرمز له بـ [\ ]، والنبر الضعيف وليس له رمز)"[92]" فيتوزع النبر على المقاطع الصوتية وفقا لهذه المستويات الثلاثة.

ويمكن للنبر أن يكون على مستوى المقطع ضمن الكلمة، كما قد يكون على مستوى الكلمة ضمن الجملة؛ وذلك من خلال ترتيب الصيغ الإفرادية ضمن تراكيب محددة، كما لا توجد قوانين علمية تحدد مواقعه؛ فنحن (لا نملك في حوزتنا قانونا علميا فيزيائيا يحدد مواضع النبر في الكلمة أو الجملة، باستثناء

89 – نفسه.

90 – علم الأصوات، كمال بشر، ص255.

91 – دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص221 .

92 – التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، فونولوجيا العربية، سلمان حسن العاني، ص134.

المقطع الصوتي الممدود فإنه منبور دائما)"[93]" وهذا ما أدى إلى محاولة وضع قوانين، يتحدد بها النبر أثناء نطق المفردات والتراكيب (فإذا توالت مقاطع مفتوحة يكون الأوّل منها منبورا، مثل كتب، وإذا تضمنت الكلمة مقطعا طويلا واحدا، يكون النبر على هذا المقطع الطويل، مثل كتاب، وإذا تكونت الكلمة من مقطعين طويلين، يكون النبر في أولها، مثل: كاتب)"[94]"هذه بعض القوانين، التي تم وضعها لمحاولة تحديد مواضع النبر في العربية.

تتفاوت المقاطع الصوتية التي تتكون منها البنية اللغوية للمنطوق، في قيمتها الزمنية المخصصة لنطقها، كما تختلف أيضا من حيث قوة الصوت، ودرجة ارتفاعه، وذلك حسب المقدار الكمية الصوتية الذي يتخذه كل مقطع، مقارنة بالمقاطع الأخرى المشتركة معه في النسق الصوتي نفسه؛ وذلك لأنه (لا تنطق مقاطع لفظ ما في درجة واحدة من العلو، كما يعني مصطلح (النبر stress) مقدار القوة power على مقاطع كل لفظ)"[95]" هذه الزيادة في ارتفاع وقوة الصوت يتولد عنها بروز أحد المقاطع مقارنة بالمقاطع الأخرى، وهذا البروز هو ما يعرف "بالنبر".

---

93 – العروض وإيقاع الشعر العربي، عبد الرحمن تبرماسين، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003م، ص94.

94– مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، طبعة جديدة، دت، ينظر، ص81–82.

95– التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، فونولوجيا العربية، سلمان حسن العاني، ص134.

المحاضرة الثامنة

الأبنية والأوزان

التصريف علم من العلوم العربية، عرّفه العلماء بأنه العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية، وأحوال هذه الأبنية. فهو يهتم بأبنية الكلمات، أي عدد حروفها وترتيبها وأحوالها، من إعراب وإبدال وإدغام و اشتقاق ....غيرها. فهو علم تضبط به الصيغ، ويتجنب به الخطأ في نطق الكلمات.

كان علم التصريف في البداية متضمنا في علم النحو، ولكن سرعانما استقل بذاته وتميّز عن باقي العلوم العربية، وتفرّد بدراسته مجموعة من العلماء أمثال المازني الذي فصل الصرف عن النحو، ووضع كتابه" التصريف" ، وابن الحاجب في" الشافية"، وأبو علي الفارسي وكتابه" التكملة"، وابن جني الذي كان علما من أعلام الصرف العربي.

مفهوم الصرف:

لغةً: "صرف: بدّل، والصرف في اللغة: علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقه "[96] كما وقد وردت كلمة صرف في القرآن الكريم في الكثير من الآيات، تذكر ذلك في قوله تعالى: " أُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونْ "[97] وقوله

[96]– المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، ج1، ص 513.

[97] سورة الأنعام، الآية، 46.

تعالى: " وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ"[98] وهذا مايدل على تغيير اتجاه هبوبها في كل اتجاه.

اصطلاحًا: "يعرف علماء العربية علم الصرف بأنه العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية العربية، وأحوال هذه الأبنية التي ليست إعرابا ولا بناء، والمقصود بالأبنية هنا هيئة الكلمة. ومعنى ذلك أن العرب القدماء فهموا الصرف على أنه دراسة لبنية الكلمة"[99] والتغيرات التي تطرأ عليها ودراستها.

التصريف:

"هو التلعُّب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعاني المفادة منها وغير ذلك، فإذ قد ثبت ما قدمناه فليعلم أن التصريف ينقسم إلى خمسة أضرب: زيادة، بدل، حذف، تغيير حركة أو سكون، إدغام."[100]

الميزان الصرفي:

لغة: "الوزن سنجة الميزان. والميزان: المقدار. يقال: اعرف لكل امرئ ميزانه."[101]

اصطلاحا: "هو الميزان الصرفي، وهو لفظ يؤتى به لمعرفة أحوال بناء الكلمة من حيث حروفها الأصلية وزوائدها، وحركاتها، وسكناتها، نحو: سمعَ ـ فَعِلَ، وسامِع ـ فاعِل."[102]

---

[98] سورة البقرة، الآية، 164.

[99]– التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت ن لبنان، دط، 1973م، ص7

[100]– التصريف الملوكي، أبو عثمان بن جني، ص13.

[101]– المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، ج2، ص1030.

"مقياس وضعه علماء العرب لمعرفة أحوال بنية الكلمة ... ولما كان أكثر الكلمات العربية يتكون من ثلاثة حروف، فإنهم جعلوا الميزان الصرفي مكونا من ثلاثة أصول هي:

(ف ع ل)، وجعلوا الفاء تقابل الحرف الأول، والعين تقابل الحرف الثاني، واللام تقابل الحرف الثالث، على أن يكون شكلها على شكل الكلمة الموزونة، فتقول: كَتَبَ – فَعَلَ

كَرُمَ – فَعُلَ. حَسِبَ – فَعِلَ. ضُرِبَ – فُعِلَ. مِلْح – فِعْل .كُتُب – فُعُل .... وهكذا نقابل كل حرف بما يقابله في الميزان، ولذلك يسمى الحرف الأول فاء الكلمة، والثاني عين الكلمة، والثالث لام الكلمة" [103]

أنواع الأبنية في العربية:

أبنية الأسماء

أبنية الأسماء نوعان:

أ– أبنية الأسماء المجردة: ثلاثة أقسام:

الثلاثي، الرباعي، الخماسي

أبنية الأسماء المزيدة: ثلاثة أقسام:

- الثلاثي: الاسم الثلاثي المزيد بحرف، والاسم الثلاثي المزيد بحرفين، الاسم الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف، الاسم الثلاثي المزيد بأربعة أحرف.
- الرباعي: الاسم الرباعي المزيد بحرف، الاسم الرباعي المزيد بحرفين.

---

[102]– المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر، ص404.

[103]– التطبيق الصرفي، ص10

- الخماسي: الاسم المزيد بحرف.

أبنية الأفعال:

أبنية الأفعال نوعان:

أبنية الأفعال المجردة:

- الثلاثي: الفعل الثلاثي المجرد
- الرباعي: الفعل الرباعي المجرد

أبنية الأفعال المزيدة:

- الثلاثي: الفعل الثلاثي المزيد بحرف، والفعل الثلاثي المزيد بحرفين، والفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف
- الرباعي: الفعل الرباعي المزيد بحرف، والفعل الرباعي المزيد بحرفين.[104]

حروف الزيادة:

- اصطلاحا: "هي الألف، و الياء والواو والهمزة والميم والتاء والنون والهاء والسين واللام ويجمعها قولك: ((اليوم تنساه))؛ ويقال أيضا ((سألتمونيها)).[105]"

[104]– المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص46 وما بعدها.

[105]– التصريف الملوكي، أبو عثمان بن جني، ص 14.

المحاضرة التاسعة:

اللفظ والمعنى

إنّ اللّغة ذات الأصالة العريقة والبيان الرّائع تؤدّي دورها الرّائد في تلبية احتياجات العرب والخاصّة منهم بألفاظها الدالّة على المعاني المتنوعة تنوّع خُصوبة هذه اللغة؛ لذلك نجد أن هذه الثّنائية الخطيرة (الدال/المدلول) أو (اللفظ/المعنى) شغلت باعًا واسعًا في الدّراسات اللغوية على اختلافها من لغويين، وبلاغيين، ونقّاد، حتى وَجدت "ثنائية اللفظ والمعنى مكانًا في بحوث الأصوليين، والفلسفة، لأن المعنى يمثّل نقطة التقابل بين أنواع ثلاثة من (علم المعنى) التي هي: علم المعنى اللغوي، وعلم المعنى الفلسفي، وعلم المعنى العام، ويهيّئ هذا التقابل فرصة التعاون بين هذه الأنواع الثلاثة على خير وجه"[106] خِدمةً للبحث اللغوي، فهم قد أفاضوا كثيرًا في قضيتهما.

من خلال "العودة إلى مؤلّفات القدامى، ملاحظة المجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللغة والعناية الدّقيقة التي بذلوها في جمع أصول اللغة ولمّ شتاتها واستنباط أحكامها العامّة، بل أكثر من ذلك بالإمكان ملاحظة المفاهيم المتطورة التي أتوا بها والتي بالإمكان مقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية"[107] حتى

---

[106]– تحسين عبد الرضا، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة، الأردن، ط1، 2011، ص116.

[107] – حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص03.

أنهم جعلوا المعاني مقدّمة في الاعتبار على الألفاظ "لأنّ الألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلّة يُستدلّ بها على الغرض المقصود من الكلام، فإن المعنى هو المقصود واللفظ وسيلته، ولما كان المعنى هو الغاية والمرام، واللفظ لا يعدوا أن يكون خادمًا له، كانت العناية به أعظم وقدرة عندهم أفخم، لأن المخدوم – بلا شك – أشرف من الخادم"[108] فاللفظ خادم المعنى الذي يؤدّي إلى قصد القاصد، لذلك عدّت المَزِية للفظ، لأن المَخدوم أعلى مَرتبة من الخادِم.

إن الحديث عن اللفظ والمعنى – بعدِّها المحور الأساسي الذي دارت حوله الدراسات – يتطلّب مِنّا بَداهةً العودة إلى الإرهاصات الأولى لظهور هذه القضية، حتى وإن لم تذكر في الأبحاث بشكل جلي وإذا كان الأمر كذلك " فإن لتأثير البيئة العقائدية والفكرية أثرها في تكوين الفكر العربي القديم – خصوصا حول هذه القضية – وهذا ما يجعلنا نُحيل على مرجعية أخرى، هي المرجعية البيئية التي خلقت صراعا كبيرا بين فئات عديدة، فتحول الصراع إلى القرطاس والقلم بدل السيف والقوة، وظهر ذلك بالأخص في مباحث الأصوليين، وكذلك الأشاعرة والمعتزلة"[109] لذلك سنحاول أن لا نخرج عن نطاق التراث محدّدين مجالا زمنيا ليس بالهيّن للوقوف بالاستقصاء على قضية اللفظ والمعنى عند جهود معرفية متعددة.

المتأمل في التّراث العربي إلى نهاية القرن السابع الهجري (7هـ)، يجد أنّ فكرة اللفظ والمعنى قد تمثّلت أساسا في أبحاث النحاة والبلاغين والنّقاد أحسن تمثيل، دون أن ننسى المفسرين الذين إضافة ومساهمة في هذا المبحث. فالمتأمّل

---

[108]– ياسر عتيق محمد علي، الدلالة السياقية ونظائرها عند الأصوليين وأهمّيتها في فهم مقصود الخطاب، جامعة عدن، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد 35، يوليو – ديسمبر ،2012، ص281.

[109]– صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية، ص82.

في: "التّراث البلاغي والنقدي يلحظ أن هذه الثنائية – ثنائية اللفظ والمعنى – قد شغلت حيّزا كبيرا داخل هذا التراث"[110] وذلك لأنّ بيئتهما العلمية هي الدّرس الدلالي الذي أساسه ومنطلقه هواللفظ والمعنى، اللذين يكونان صورتين للكلمة لا انفصال للواحدة منهما عن الأخرى، ويعدّ تحليلهما منطلقا لمعالجة المشكلات الدلالية الأخرى"[111] باعتبار أن العلاقة الدّلالية تنطلق من ثنائية اللفظ والمعنى تأسِيسًا لظواهر دلالية بكل حيثياتها، هذا بحكم أن البحث الدلالي "يتقصى العلاقات الدلالية بين الرموز اللغوية ومدلولاتها، وما يترتب عليها من نتائج في سلامة الأداء للغرض المقصود"[112] فالدّراسة الدّلالية تحاول الإحاطة بالعلامات اللغوية وغير اللغوية ولا تستثني أيًّا منهما، لأنهما تتوخيَان الأداء السليم تحقيقًا للمعنى المقصود من الحدث الكلامي.

تمخّض عن الصِراع حول قضية اللفظ والمعنى وأي منهما له الرِّيادة على صاحبه، لذا قام صراع علمي بينهم في تحديد مصطلح كل منهما في إعطاء النص اللغوي قيمته الفنية، التي يحصل له من خلالها المزية والسبق. ولقضية الإعجاز القرآني وارتباط الفكر والبلاغي النقدي بما احتواه فكان النزاع محتدما في أي منهما يكمن الإعجاز، في اللفظ وتأليفه، أو في المعنى ودلالته، أو بهما معا، أم بالعلاقة المتولدة بينهما؟ كلّ هذا أنتج أربعة توجّهات احتدم الجدال فيها بين: فئة تفضّل اللفظ، وأخرى ترى الجمع بين اللفظ والمعنى، وثالثة ترى بوحدة اللفظ والمعنى، والرابعة ترى بالعلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى.

---

[110]– طارق النعمان، اللفظ والمعنى بين الإيديولوجيا والتأسيس المعرفي، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1994، ص13.

[111]– فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص30.

[112]– نفسه، ص31.

انطلاقا من هذا يرى الباحثون أن علماء العربية القدامى كانوا بين رجلين: أحدهما ينتصر للفظ والآخر للمعنى ولا يوجد وسط بينهما "فتيّار أهل السنة رأوا المزية في المعنى بسبب اعتقادهم بأن الكلام عبارة عن معنى قائم في النفس، وقولهم بأن كلام الله قديم وهو عبارة عن معنى قائم في ذات الله، وتيّار المعتزلة والشيعة رأوا المزية في اللفظ بسبب اعتقادهم بأن الكلام هو تلك الألفاظ والأصوات، وقولهم بأن كلام الله مخلوق وهو عبارة عن أصوات القرآن الكريم وألفاظه"[113] تقديم المعنى على اللفظ هو رأي الأشاعرة القائلون بالكلام النفسي انتصارًا لمُعتقدهم.

أما تفضيل اللفظ على المعنى فهو قول المعتزلة القائلة بخلق القرآن، كلّ هذا أنتج نتاجًا فكريًا عقائديًا. كما أدى الجدل بين المعتزلة والأشعرية إلى تناول الصّلة والعلاقة بين الألفاظ والمعاني، حيث اشتدّ الصّراع بين أهل اللفظ وأهل المعنى وامتدّ الصّراع أو النشاط في مجال البحث إلى القرن الرابع الهجري (4هـ). في خِضمّ هذا يُمكن للمتكلّم أن يقع في مُفترق تحديد المُنطلق الذي جاء في اتّجاهين :"الاتجاه الأول الانطلاق من اللفظ نحو المعنى... ويسمى طريقة الفصل... أعني طريقة المجاز... والاتجاه الثاني الانطلاق من المعنى نحو اللفظ وتسمى طريقة الوصل...أعني طريقة التعبير الصريح والتركيب اللفظي المعتمد على القوانين النحوية"[114] فالمَزِية للفظ على حساب المعنى كانت مع المعتزلة، أمّا تقديم المعنى على اللفظ فكانت مع الأشاعرة، ممّا يؤكّد على أنّ طرفي الصّراع كانا على وعيٍ بالمنطلقات اللغوية للتّأسيس لمعتقدها وانتصارًا لفكرها.

---

[113]– علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي من أول القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص34،33.

[114]– محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص163.

ما يُمكننا استنتاجه أنّه "لا غرو في أنّ قضية اللّفظ والمعنى هو صُنو البيئة، أو قل إنّ هذه القضية تمثل حضارة الأمة العربية في ذلك الوقت أحسن تمثيل، فكل ما نشأ وما حدث من أقوال وآراء حول هذه القضية إنما مرده الإعجاز القرآني، وهذا لا جدال فيه ولكن المنهج الذي عولجت به قد اختلف باختلاف التوجهات"[115] فحضارة العرب لغوية فكرية بامتياز أساسها الإعجاز القرآني، ثم التّوجهات العقائدية والفكرية وبتعدّد البيئات والمشارِب العلمية الحاوية لها.

[115]– صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية، ص68.

المحاضرة العاشرة

التّرادف في اللغة العربية

من أهم ما تمتاز به العربية أنّها أوسع أخواتها السامية ثروة في أصول الكلمات والمفردات، فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها. وتزيد عليها أصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول، ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها، هذا إلى أنّه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها. ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال ما لم يجتمع مثله للغة سامية أخرى بل ما يندر وجود مثله في لغة من لغات العالم"[116] ماتمتاز به اللغات السامية هو سعة مفرداتها وكثرة معانيها، بذلك احتفظت ألسنتها على مرّ الأزمان.

العربية ملك للعربي "وهو مبدعها، ويتصرّف فيها كما يشاء، ولغات القبائل على اختلافها فصيحة صحيحة يصحّ الأخذ بها، والقياس عليها، وإن كان بعضها أكثر شيوعا وأوسع نفوذا من بعضها الآخر، والعربي كان يستعمل لهجة غير قبيلته، كما أنه كان ينفرد بالابتكار والتّجديد، وربّما كان ما نصفه بالابتكار والتّجديد – أحيانا– راجعا إلى لغة قديمة وصلت إليه ولم تصل إلى غيره أو لغة

[116]– فقه اللّغة، علي عبد الواحد وافي، ص131.

أخرى"[117] لغات القبائل اختلف حولها جامعوا اللغة، لكنها كلها فصيحة، إلا أن الصّراع اللغوي الخفي بينها كان على أوجّه أيّها له السلطة للشيوع.

وجاء في معجم مقاييس اللغة:" ردف: الراء والدال والفاء أصل واحد مطّرد، يدل على إتباع الشيء، فالترادف: التتابع، والرديف: الذي يرادفك"[118] المترادف هو الكلمتان فصاعدا الدالتان على معنى واحد باعتبار واحد واقع على الأصحّ ولغة العرب طافحة به، قوله طافحة به أي ممتلئة به) فالمعنى في الترادف يمكن التدليل عليه بكلمتان فصاعدا.

الترادف هو أن تتماثل كلمتان أو أكثر في المعنى، وتدعيان مترادفتين وتكون الواحدة منهما مرادفة للأخرى، وأفضل معيار للترادف هو التبادل: فإذا حلّت كلمة محلى أخرى في جملة ما دون تغيير في المعنى كانت الكلمتان مترادفتين مثال: هذا والدي= هذا أبي، والد= أب؛ والترادف اشتمالي تبادلي: كل أب والد وكل والد أب"[119]

يبدو أن ظاهرة الترادف قديمة ضاربة في عمق التراث العربي، حيث نجد من أقدم الكتب التي "حملت اسم الترادف كان كتاب أبي الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت384هـ) وعنوانه (كتاب الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى)، فمن باب المثبتين نجد الرّماني في كتابه المذكور آنفا نجده "خصص كل فصل لكلمات ذات معنى واحد، ومن أمثلته التي ذكرها: وصلته، ورفدته، وحبوته،

---

[117] – توفيق محمد شاهين، المشترك اللفظي نظريا وتطبقيا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1980، ص17.

[118]– معجم المقاييس في اللغة، ابن فارس، ص448.

[119] – محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، ص93.

وأعطيته...ومنها السّرور، والحبور، والجذل، والغبطة، والفرح"[120] وهي كلها للتّدليل على ثبوت الظاهرة في اللسان العربي.

كما "يبدو أن من أقدم من أطلقوا اسم الترادف على هذه الظاهرة أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي"[121] والدّليل على ذلك ما ذكره في كتابه المذكور آنفا حين يقول :" باب الأسماء كيف تقع على المسميات؟ يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس، وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو:" عين الماء" " وعين المال، وعين السحاب"، ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو:" السيف والمهند والحسام"[122] إذا أدركت أن الكلام يدور حول " قضية الترادف" ودلالتها في التراث العربي وما دار حولها من نقاشات.

أخذت القضية باعا واسعا في كتب التراث العربي وعند علمائنا الأجلاء، فهي مبسوطة في كتب أرباب اللّغة الذين أولوا هذا المحور جل اهتمامهم وصدّروا بها أوائل كتبهم، وقضية إثبات الترادف أو إنكاره قد شغلت الكثير من التراثيين ذلك أنّها تتصل بأصل لغتنا. "فطالما تساءل اللغويون أيجوز أن تترادف لفظتان أو أكثر على معنى واحد في اللغة أو لا يجوز؟...حتى إذا ذكر التّرادف انصرف الذّهن إلى مسألة الجواز والإنكار، نظرا لكثرة الخلاف فيها واحتدام الجدل بشأنها وغلبة الكلام عليها، منذ تنبّه علماء اللغة غليها والتأمّل فيها"[123] من خلال هذا سنحاول تتبّع هذا الخلاف، والبحث عن أسباب تأييد ورفض كل فرقة، لهذا انقسم

---

[120] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص217.

[121] – نفسه، ص216.

[122]– الصاجي ، ابن فارس ،ص65.

[123] – حاكم مالك الزيادي، الترادف في اللغة، ص195.

العلماء إلى منكر ومثبت للترادف وكل واحد منهم عزّز رأيه بحجة يعرض بها لرأيه.

آراء القدامى:

نقصد بهم الرواة واللغويون الذي ساحوا في الجزيرة العربية، وجابوا بواديها من أجل جمع مفردات اللغة وتدوينها قد أكدوا هذه الظاهرة –ميدانيا– بما رووه وسجلوه عن العرب من عدة ألفاظ للمسمى الواحد...زيادة على ذلك تصريح بعض الأقدمين او إشارتهم الواضحة إلى هذه الظاهرة وكأنها أمر طبيعي في اللغة، فقد ذكر سيبوية أن من كلامهم اختلاف اللفظين والمعنى واحد، وقال قطرب (ت206هـ) :"أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد، ليدلوا على اتّساعهم في كلامهم"،

في كتاب الأصمعي (ت216هـ) الموسوم ب(ما اختلف ألفاظه واتّفقت معانيه) الشيء الكثير من الألفاظ المترادفة بمعنى الترادف الواسع... كتاب (الغريب المصنّف) لابن السكّيت (ت244هـ)...وذلك لكون الظاهرة معروفة لديهم"[124] بإمعان النّظر نجد أن القرن الثاني والثالث الهجريان لم تطرح فيهما قضية الإنكار، لربما أن الفكر والذّهنية العربية آنذاك كانت بسيطة وسليمة، وبعيدة عن الجدل والصّراع العقيم الذي أتى من بعد بفعل اتّساع الحاضرة الإسلامية، وشيوع الفلسفة اليونانية التي تقوم على الجدل والنّقاش، كل هذا سيؤثّر على الفكر اللغوي العربي الذي اتّسم بالبساطة والليونة في الطرح والنّقاش، ليتحوّل إلى حلقات للصّراع والجدال على أمور ثبت سلفا بالسليقة والفطرة.

[124] – حاكم مالك الزيادي، الترادف في اللغة، ص197.

بصولنا إلى ق4ه نجد اتّساعا في ساحة الجدل في قضايا اللغة وكثرة الأقوال، فبلغ الجدال أوجّه واشتدّ، حتى وضع المنكرون مؤلّفات وأبواب في كتبهم لإنكار الظاهرة، ولعل "أول ما وصل إلينا بصدد إنكار التّرادف هو ما حكاه ثعلب عن استناد ابن الأعرابي (ت231ه) القائل"كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربّما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله"[125] بهذا يكون ابن العرابي أول من أنكر الترادف من اللغويين، ثم تابعه جمع من اللغويين وتوسّعوا أكثر وفصّلوا.

هذا تلميذه ثعلب (ت291ه) الذي روى قوله:"أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تباين بالصّفات، كما في الإنسان والبشر فإن الأول موضوع له باعتبار النّسيان، أو باعتبار أنه يؤنس، والثاني باعتبار أنه بادي البشرة"[126] والمتباين اعتمد عليه كثير من المنكرين، لأنهم وجدوا فيه المنفذ لإنكار الظاهرة، لأن تباين الصفات بين الكلمات التي يراه المثبتون من الترادف، هي عند المنكرين الفيصل في رفضه.

وتتواصل سلسلة العلام المنكرين، فهذا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت328ه) ذهب مذهب ابن الأعرابي حيث يقول"وقول ابن الأعرابي هو نذهب إليه، للحجة التي دللنا عليها، والبرهان الذي أقمناه فيه"[127] حيث علق على الأمثلة التي قدّمها ابن الأعرابي وانتصر له. يضاف لهم علم آخر وهو ابن فارس (ت395ه) حيث تابع شيخه ثعلب في إنكار الترادف، إذ جاء في مؤلفه (الصاحبي) قوله:"ويسمي الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند

---

[125] – حاكم مالك الزيادي، الترادف في اللغة، ص198.

[126] – نفسه، الصفحة نفسها

[127] – حاكم الزيادي، الترادف في اللغة، ص199.

والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى"[128] فما جُمع للسيف من أسماء عند ابن فارس ليست أسماء بقدر ماهي صفات له.

ينضاف إلى هذه الكوكبة من العلام علم آخر هو ابن درستويه (ت347هـ) إذ يقول"ولا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من النحويين واللغويين"[129] لم يترك ابن درستويه مجالا لوقوعه، بل أنكره من أساسه.

أبو هلال العسكري (ت395هـ) الذي ألف كتابا في إنكار ظاهرة الترادف من أساسها والمسمى (الفروق اللغوية) حي جاء على لسانه "الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني...فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني، وعين من العيان في لغة واحدة، فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وغلا كان الثاني فضلا لا يُحتاج إليه"[130] ينضاف إلى فئة المنكرين الراغب الأصفهاني (ت502هـ) حيث صرح في مقدمة كتابه (المفردات في غريب القرآن) قوله:"وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل بكتاب ينبئ عن تحق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة"[131] حيث تتبع الكثير من الألفاظ وأثبت معانيها المختلفة، حتى وإن كانت فروق خفيفة، إلا أنه أثبتها في باب الإنكار.

---

[128] – ابن فارس، الصاحبي، ص65.

[129] – حاكم الزيادي، الترادف في اللغة، ص200.

[130] – أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ط، د س، ص16.

[131] – نفسه، ص203.

الترادف قضية وجدت عند المحدثين "إذ هناك من أقرّ بوجوده من غير شروط كما فعل بعض القدامى، ومن هؤلاء مصطفى صادق الرافعي، ومنهم من أقرّ بوجوده على قدر من التأمّل والتّدقيق وعدم الإغراق في التوسيع والتضييق كعلي الجارم وإبراهيم أنيس"[132] يكون المحدثون على وعي كامل باللغة وبظواهرها، ودليلهم حديثهم عن الترادف الذي هناك من أقرّ بوجوده كما حدث مع أعلام القرن 1و2، ومنهم من أقرّه لكن دون إطلاق العنان للظاهرة في اللغة. بالإضافة إلى صبحي الصالح الذي يقول:" ولسنا نريد أن ننكر مع أحمد بن فارس وقوع الترادف، بل نؤثر أن نعتدل في رأينا فلا ضير علينا إذا أن نأخذ بمذهب من يقول في شأن الترادف:" وينبغي أن يحمل كلام من منعه على منعه في لغة واحدة، فأما في لغتين فلا ينكره عاقل"[133] وهو مذهب المنكرين لوقوعه كلية.

من المحدثين نجد علي عبد الواحد وافي الذي ضيق من الترادف إذ يقول:" إن كثيرا من الألفاظ التي تبدو مترادفة هي في الواقع غير مترادفة بل يدل كل منها على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التي يدل عليها غيره"[134] وقبلها يقول:" أن الأسماء الكثيرة التي يذكرونها للشيء الواحد ليست جميعها في الواقع أسماء بل معظمها صفات مستخدمة استخدام الأسماء" (متأثر برأي أبو علي الفارسي). فتركيزهم على بعض الفروق الخفيفة بين المترادفات يدل على اهتمام وعناية بهذه اللغة لغة النص الديني.

---

[132]– علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر ، دار الأمل،الأردن، ط1، سنة 2007م، ص 502.

[133]– دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح ، ، دار العالم للملايين بيروت،لبنان، ط10 سنة 2004م، ص 299.

[134]– فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص 135.

و من اللغويين الغربيين نجد كلود جيرمان (Claude jerman) وريموند لوبلان reamon loplan في قولهما عن الترادف:" الكلمات التي تختلف في ألفاظها وتتفق في معانيها ...نتصور أن قائمة الكلمات المترادفة تكون طويلة نوعا ما إذ لا نجد أقل من خمسين مصطلحا يعطى كمترادف لكلمة مثل:

أخذ(تناول) ⟵ prendre

أمسك(أخذ) ⟵ saisir

قبض(أمسك) ⟵ empoigner

التقط ⟵ attraper

قبض ⟵ capturer"[135]

طرحا تساؤلا مفاده:هل هناك ترادف تام وكامل في اللغة؟.

في الواقع اللغوي "إن الترادف الكامل نادر في اللغة، إذ يندر أن تتطابق كلمتان تماما في المعنى والاستعمال مثال: جبل عالٍ أو جبل مرتفع، ولكن نقول عالي الهمة ولا نقول مرتفع الهمة، لو كان الترادف كاملا، لأمكن أن نقول مرتفع الهمة بمعنى علي الهمة"[136]

إذ توصلا من خلال معالجة بعض المصطلحات إلى القول:أنه لو اعتمدنا–في قياسنا–لإثبات الترادف على طريق قابلية الكلمات المترادفة للتبادل فيما بينها في السياقات اللغوية كلها لأدركنا أن الترادف التام أو الكامل نادر

---

[135] – علم الدلالة، لكلود جرمان و ريمون لوبلان، ترجمة نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق، سورية، دون طبعة، سنة 1994م، ص63.

[136] – محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، ص94.

جدا....ولا شك–في النهاية–أننا نلحظ أنه من الصعب العثور على كلمتين مترادفتين تماما"[137] الفكرة سابقة الذكر في التراث العربي حيث وُجدت عند ابن فارس في "الصاحبي" يوم قال: "الاسم واحد وهو "السيف" وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى"[138] فالفكرة ممتدّة امتداد لغوي يمسّ كل اللغات الإنسانية.

لهذا ينكر علماء اللغة "وجود الترادف كاملا على أساس أنه سيكون من العبث والهدر أن يوجد في اللغة كلمتان لمدلول واحد دون أي فرق بينهما، ويرى هؤلاء العلماء أنه لابد من وجود فرق بين المترادفين، ولذلك يؤمن هذا الفريق من العلماء بالتراد الجزئي، أي المماثلة في المعنى دون التطابق"[139] الترادف الكامل أو المطلق لا وجود له، وإنما هي استنتاجات بعض اللغويين.

[137] – علم الدلالة، لكلود جرمان و ريمون لوبلان ، ص67.

[138] – الصاحبي، ابن فارس، ص65.

[139] – محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، ص95.

المحاضرة الحادية عشر

المشترك اللفظي

اقتضت اللغة أن يختص كل لفظ بمعنى ، إلا أن ظروف الحياة بتعقّدها وتشابكها فرضت أن يكون لفظ يشترك فيه عدة معاني أخرى. نقصد من هذا المشترك اللفظي ومدى إرتباطه الوثيق بالتراث العربي وما أثير حوله لهذا "أدرك العلماء والدارسون أهميته لما له من أثر في التّخاطب والتّشريع على حدّ سواء، فخصّوا مسائل الاشتراك بمزيد من العناية والتمحيص في مجال اللغة وأصول الفقه والمنطق وعلوم القرآن الكريم"[140] وقيمة الظاهرة لارتباطها بالقرآن الكريم واللغة العربية، فهي تصادف الأصولي في استنباط الأحكام، والمنطقي في ضبط الصيغ الافرادية، فهي إذن حاضرة بقوة اللغة.

[140]– الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، ، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، سنة 1999م، ص 23.

وفيما يلي نتعرف على ظاهرة الاشتراك اللفظي عن قرب من عمق التراث العربي. أشار ابن فارس إليه بقوله: "وتسمّي الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو: "عين الماء" و" عين المال" و"عين السحاب"[141] أو هو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السّواء عند أهل اللغة"[142] لفظ يدل على معنيين عند العرب يصنّف في باب المشترك، الذي اعتبر من باب الثّراء اللغوي عند العرب.

ونضيف نصّا آخر من مقاييسه قوله:" الشين والراء والكاف أصلان: أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد والآخر يدل على امتداد واستقامة. فالأوّل: الشِّركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه"[143] فكثرة التّسميات للشيئ الواحد تميزت به لغة العرب، وهذا لسعتها، وسعة مستعمليها والتّسهيل عليهم.

أولى الأصوليون اهتماما بالغا بالمشترك اللفظي هذا لأنه من قبل دلالة الألفاظ"لأن استنباط الأحكام الفقهية في علم الأصول قائم أساسا على تحديد معاني الألفاظ في مصادر التشريع الإسلامي، فنظروا في مسائل الاشتراك المختلفة وأدلوا برأيهم فيها"[144].

1-النزاع في المشترك:

دارت نقاشات كثيرة حول ظاهرة المشترك اللفظي في التراث العربي، بين منكر ومثبت لها، فما ورد عن "أئمة اللغة في المشترك اللفظي، وما ورد من

---

[141] – الصاحبي، ابن فارس، ص65.

[142] – توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا، ص28.

[143]– ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، ص 557.

[144]– الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد، ص 55.

استعمالات ألفاظ المشترك في الأساليب الفصيحة، والاختلاف في تفسير بعض الألفاظ ومرجعه ماورد عن العرب الفصحاء، وأخذ القبائل العربية عن بعضها...ونسيان الأصل حين النّقل، أو استعمال اللفظة في الحقيقة والمجاز في آن واحد...يقوي وجود المشترك اللفظي في لغتنا"[145] الاستعمال اللغوي المتعدّد عند الفصحاء من العرب يوجب الظاهرة، حيث يعمل النّقل على إيجاء مجال للظاهرة، وحتى النّقل المجاز كذلك. للعلماء حول وجود الظاهرة من عدمها أقوال وأحكام وهي:

1- إنّه ممكن الوقوع، أي لا يمنع مانع عقلي من وقوعه في اللغة.

2- إنه واقع فعلا لوجوده في اللغة: لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ، فقد نصّوا أحيانا على أنّ هذا المعنى أصل الوضع، وبعد ذلك نجد معنى آخر يجعله بعضهم أصلا للوضع ايضا.

3- وأوجب بعضهم وقوعه: لأن المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية. فيلزم الاشتراك ويجب وقوعه، ليفي لتغطية المدلولات الاجتماعية التي تسبق المدلولات اللغوية"[146] فين من يثبته عقلا، ومن يثبته واقعا لغويا، ومن يثبته من واقع التناهي في الألفاظ لا المعاني.

أسباب وقوع المشترك:

يرجع أكثر اللغويين إلى أن أكثر أسباب وقوع المشترك هي جغرافية وتاريخية نلخصّها كما يلي:

---

[145] – توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا، ص24.

[146] – نفسه، الصفحة نفسها.

1-الأسباب الجغرافية: يذكر أبو علي الفارسي أنّ تداخل اللغات (يقصد اللهجات العربية) سبب من أسباب وقوع الاشتراك في العربية، وينفي أن يقع في لهجة واحدة.

2- الأسباب التاريخية: لعل أشهر من علّل ظاهرة الاشتراك على أساس تطور صوتي هو اللغوي إبراهيم أنيس، فقد حاول أن يفسّر كلمات مثل (السغب) في دلالتها على الوسخ، والدرن، والقحط، والجوع) بالقول:إنها تطورت في لهجة من اللهجات، ولظرف من الظروف الخاصة حتى أصبحت من المشترك اللفظي"[147].

دور السياق في تحديد دلالة المشترك :

يقع المخاطب أحيانا في غموض بسبب عدم تعيين المتكلم المقصود من كلامه بسبب المشترك لذلك "وجب على السامع ترجيح أحد معاني المشترك بالقرنية اللفظية أو الحالية التي ترجح المعنى المراد، و المراد بالقرنية اللفظية : ما صاحب اللفظ، والمراد بالقرنية الحالية : ما كانت عليه العرب حين ورود النص من شأن معين"[148] على الملتقّي أن يكون على وعي بالقرائن باختلافها، ويوظّفها حسب ما تقتضيه الحاجة، وإلا وقع في غبن يؤدّي به إلى البعد عن المعنى المراد.

ويؤدي السياق الدور الحاسم في تحديد دلالة الكلمة تحديدا دقيقا و يزيل أي تعمية أو التباس قد يحدثها وجود المعاني المتكاثرة التي تتوارد على اللفظة

---

[147] – محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص72.

[148] – الوجيز في أصول الفقه ، وهبة الزجيلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، سنة 1999م، ص 191.

المشتركة، و هي في معزل عن السياق الذي يمكن أن يستعمل فيه، و بفضل اعتمادنا على السياق في تعيين دلالة دون غيرها بما يحمل اللفظ المشترك من دلالات متعددة أمكن أن تعيش كثير من كلمات المشترك اللفظي جنبا إلى جنب قرون متعددة في اللغة الواحدة، دون أن يسبب ذلك غموضا أو سوء فهم أو صعوبة من نوع ما.

لكن هذا لا يمنعنا من إغفال دور القرائن بنوعيها، "فالقرينة اللفظية مثلا يتضح دورها في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾[149] لفظ اليد مشترك بين الذارع والكف والساعد، و بين اليمنى واليسرى، وقد عين المراد به، وهو الكف بالسنة العملية وهي قرينة لفظية"[150] ففعل القطع مخصّص لجزء اليد، لكن ما يوضّح ذلك هو القرينة اللفظية التي تثبّت المعنى وتعيّنه.

ينبغي التنبيه أن المحدثين ذكروا عامل السياق الذي له دور كبير فيما يطلق عليه المشترك لأن "المعنى السياقي على خلاف المعنى المعجمي واحد لأن السياق لا يسمح بتعدد معاني الكلمة إلا ما كان من باب الألغاز أو الكتابة و المجاز، وهو يبرز عامل القرينة الذي يعود بالكلمة و يضعها في حيز دلالي واحد بعد تأمل السامع في القرينة و ربطها بالمعنيين أو المعاني و ترجيحه لمعنى واحد"[151] فالسامع لا بد وأن يعتمد على ما في فكره من أفكار وربطها بالقرينة للوصول إلى المعنى المقصود من الكلام وإلا وقع في الغُبن.

---

[149] – سورة المائدة، الآية.63

[150] – الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، ص192.

[151]– منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، ص168.

يقول صبحي الصالح :"والسياق هو الذي يعين أحد المعاني المشتركة للفظ الواحد و هذا السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن، و إنما يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة، فيخلع على اللفظ المعنى المناسب"[152] فالسياق والارتباط بين الصيغ التركيبية المختلفة ذات الدلالة، يزيل عن اللفظ المشترك اللبس والغموض.

وجد هناك من اللغويين الغربيين في تناولهم للمشترك اللفظي تركيزهم على أهمية السياق، حيث يرى ج.فندريس :"إننا حينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحدة في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات، إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص "[153] فالتعدّد المعنوي للفظ غير وارد بالتمام، والدليل عليه أن ما يطفو إلى ذهن المتكلم حين إيراد الحديث هو معنى واحد ما يخرج مقترنا مع اللفظ.

و هذا جون لاينز بدوره كان له حديث طويل عن المعنى و السّياق نقتصر منه على جزء في قوله: " they passed the port at midnigt لقد مروا بالميناء عند منتصف الليل أو لقد ناولوا الخمر المعتق عند منتصف الليل ، غامضة معجميا (وربما نحويا) في الانجليزية على انه سيتضح عادة من خلال السياق أي من اللفظتين المتجانستين port "ميناء" نوع من أنواع الخمر المعتق و هي المستخدمة كما سيتضح أيضا أن معنى واحد من المعاني المتعددة للفعل pass هو المقصود و على الرغم من تعدد المعنى ... على انه من السهل ملاحظة أن السياق المناسب يفسح المجال أمام الفعل pass بمعناه "يمر" لأنه يصاحب نوع

---

[152] – دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص308.

[153] – علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، ص398.

من أنواع الخمر المعتق بنفس السهولة التي يصاحب فيها "ميناء" في سياقات أخرى"[154] فاللفظة منفردة بصيغتها المعجمية تحتمل تأويلات عدة توقع في الغموض، لكن تسييقها في مختلف التراكيب يعطيها معنى بحسب السياق الذي ترد فيه.

ويسمي س.اولمان (ullmann) "تغيرات في الاستعمال " أو جوانب متعددة المعنى الواحد " وقد ضرب مثالا لذلك كلمة wall حائط التي تتنوع مدلولاتها بحسب مادتها (حجر، طوب...) و وظيفتها حائط في منزل أو بوابة، و بحسب خلفية المستعمل و اهتمامه، بناء، عالم أثار، مؤرخ، فنون"[155] من جانب اعتبر أن المشترك اللفظي يعتبر سببا في الغموض الدّلالي ومقصوده المفهوم المعجمي لا السياقي يقول: "المعنى المتكرر الذي يتكون فيه الكلمة الواحدة دالة على معنيين أو أكثر، مثال ذلك كلمة " volume " فإنها يمكن أن تعني : كتلة – ضخم – مجلد كبير – قوة الصوت ....الخ "[156]

ما نستنتجه من كل ما مر معنا من أفكار أن المشترك اللفظي جذوره عميقة عمق التراث العربي، فالمثبتون لو دقّقنا النّظر كانوا من أهل الاصطلاح في نشأة اللغة، والمنكرون أو المضيقون هم من أهل التوفيق. فالاصطلاحيون يقولون أن المشترك ثراء لغوي في حد ذاته. والتوقيفيون يقولون: معناه أن الله لا يريد توصيل المعنى الحقيقي من كلامه، فالمشترك هناك تعميه على السامع و الله عز وجل من كلامه، الوصول إلى عين الحقيقة دون أي غموض . كانت هذه نظرة عن كثب على قضية شغلت التراثيين وعلى مختلف توجهاتهم، لكنهم

---

[154] – اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة ،عباس صادق الوهاب، مراجعة يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1 سنة 1987م، ص223.

[155] – علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص164.

[156] – منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، ص169.

اعتبروها أحد أحسن المكنونات اللغوية لدى العربية على مر الأزمان، ومنهم من سخّرها لخدمة توجهاته الفكرية بحيث جعل منها أداة إجرائية تخول له بث معتقده بكل حرية.

المحاضرة الثانية عشر

التّضاد

تزخر اللغة العربية بسعة ذخيرتها اللغوية المعجمية، حيث يجد متكلّمها سَعة في الألفاظ، مما يُخوّل له الاختيار حسب المقام وما يقتضيه؛ هذا ما دفع بعلماء العربية القدامى إلى البحث والتّنقيب فيها للظّفر بظواهر لغوية استعملها العربي في حديثه. التّضاد ظاهرة من هذه الظواهر التي بسط العلماء الحديث فيها وألّفوا فيها الكتب وانتصروا لها، في مقابل من ألّف فيها ونفاها من العربية بمكان.

جاء مصطلح التّضاد من الضدّ الذي يعني في اللغة "النّظير والكفء والجمع أضداد"[157] وهذا أبو الطّيب اللغوي يعرّف الأضداد في صدر كتابه بقوله:"الأضداد جمع ضدّ، وضدّ كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد،

[157] – أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د س،136.

والسخاء والبخل...وليس كل ما خالف الشيء ضدا له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدّين، وإنّما ضد القوة الضّعف، وضدّ الجهل العلم. فالاختلاف أعمّ من التّضاد، إذ كان كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدّين"[158] فما ينفي هو الضدّ المتعارف عليه مثل البياض ضدّ السواد.

لكن قد يتخالف الشيئان لكن ليس من باب الضدّ، لأن الاختلاف أعم وأوسع من التضاد؛ وفي الاصطلاح عرّف التّضاد أنه "دلالة اللفظ على معنيين متنافييْن، وذلك كدلالة لفظ الجون على الأبيض والأسود"[159] فالمنافاة عند الاصطلاح هي الفيصل في التعريف، لأنها أساس التضاد.

انقسم علماء العربية إلى قسمين حول الظاهرة، فريق يرى بوقوعه ويُثبته، وفريق يرى بنفيه ورفضه، وكل فريق قدم أدلة يُفحم بها خصمه، ومن الفريق الأول نجد:محمد ابن المستنير الملقّب بقطرب (ت206هـ)، والأصمعي (ت216هـ)، وابن السكّيت (ت245هـ)، وأبو حاتم السجستاني (ت248هـ)، وابن الأنباري محمد بن القاسم (ت328هـ)، وأحمد بن فارس (ت395هـ). أما الفريق الثاني المنكرون له نجد ثلّة قليلة أبرزهم ثعلب (ت291هـ)، وابن درستويه (ت247هـ) الذي ألّف كتاب "إبطال الأضداد"، والآمدي (ت613هـ) في كتابه "الحروف من الأصول في الأضداد.

أما عن الحجج التي قدّمها المثبتون فنقتصر على ابن الأنباري الذي يقول في كتابه المذكور آنفا "إن كلام العرب يصحّح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره...فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنه يتقدّمها ويأتي بعدها ما

---

158 – حسين نصار، مدخل إلى تعريف الأضداد، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2003، ص10.

159 – عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 1997، ص41.

يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الأخر...وهذا ابن فارس الذي يقول"وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضدّه، هذا ليس بشيء. وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهندا والفرس طِرفا هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد"[160] فجواز الظاهرة باستعمال العرب لها بالتداول، فما استعمله الأول قد يصححه الأخر إن كان فيه ضرر على اللغة أو خطأ، زد على ذلك الرواة الذي رووا اللغة اثبتوا ما كان من الضدّ ولم ينكروه.

أما عن الحجج التي قدّمها الرافضون فأبرزها "أنه ليس في الكلام ضد، ولو وجد لكان محالاً، وهي حجة منطقية قياسية ينقضها السّماع، ولذلك اضطرّوا إلى تأويل ما روي عن العرب تأويلا متكلّفًا، ينفي عنه التّضاد ولا ينفي الاشتراك"[161] وضرب هذا الرّفض هو التمعّن والإيغال العقلي، إذ كيف يُعقل أنّ العربي يقع في مثل هذا الحرج اللغوي ولا يتنبّه له، وهذا لأن التضاد "يدلّ على عبقرية اللغة في إعطائها باللفظ الواحد وجوها مختلفة من المعاني تعرفُ من سياق الكلام، ومناسبة العبارة، وإن هذا اللون قد كثر وشاع حتى أصبحت معرفته واجبة، ولا تكمل معرفة اللغة، وفهمها إلا به"[162] فاللغة العربية ميزتها سَعة ذخيرتها، حيث متكلما لا يجد الحرج اللغوي في أي مقام، وفي أي مجال.

أسباب وقوعه:

تقع ظاهرة التّضاد لاختلاف الأسباب النابعة من داخل اللغة، منها ما يرتبط بالمعنى، وأخرى باللفظ، وثالثة بالصيغة، فأما المرتبطة بالمعنى فهي:

---

[160] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص195.

[161] – غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000، ص218.

[162] – عقيد خالد حمّودي العزّاوي و عماد بن خليفة الدّاينّي البعقوبي، الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1، 2014، ص368.

1- الاتّساع: ومنه إطلاق الصّارخ على المغيث، والمستغيث.

2- المجاز: ومنه إطلاق اسم الفاعل على المفعول، كقوله تعالى:"فهو في عيشة راضية"[163] أي: مرضية.

3- تداعي المعاني المتضادّة والتّصاحب الذهني: فالضدّية نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أي علاقة أخرى، فمجرّد ذكر معنى من المعاني يدعو ضدّ هذا المعنى إلى الذهن، ومن أمثلته (البين) التي تطلق على الوصل، وعلى الفرقة، لأنّ المعنى الأوّل يستدعي ضدّه، أي: المعنى الثاني.

4- زيادة القوة التعبيرية: إذا أراد المتحدّث المبالغة في التعبير عن شيء عبّر عنه بضدّ معناه، ومن أمثلة ذلك أنّ أحد الخلفاء العرب في الأندلس سمّى إحدى جواريه بالقبيحة لشدّة حسنها وجمالها"[164] هي ذي الأسباب المتعلّقة بالمغنى حيث الاتّساع المعنوي للتّوسعة على متكلّم اللغة، ثم المجاز الذي بدوره يوسع لاحتواءه على التعدّد المعنوي للألفاظ، ثم زيادة التّعبير باستعمال الضدّ.

أما المتعلّقة باللفظ فهي:

1- الإبدال الذي من أمثلته كلمة (اسر) فهي تعني: أظهر، وتعني أيضا: كتم، وأصل معنى الإظهار في كلمة (أشر) فأبدلت الشين المعجمة سينا مهملة مما جعل الصورتين الصوتيتين للكلمتين صورة واحدة تحتمل المتضادّين.

---

[163] – سورة الحاقة، آية 21.

[164] – عقيد خالد حمّودي العزّاوي و عماد بن خليفة الدّاينّي البعقوبي، الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية، ص370.

2- القلب المكاني الذي من أمثلته كلمة (صار) فهي تعني (جمع) وتعني أيضا (قطع)، و(فرق)، ومنه قوله تعالى:"فصرهنّ إليك"[165] أي: اجمعهنّ، وضمّهنّ"[166] فظاهرتا الإبدال والقلب المكاني صوتيتان متعلّقتان بالدّلالة الصوتية، فما يتغيِّر صوتيا يتغيّر دلاليا.

أما عن الأسباب المتعلقة بالصيغة فكدلالة "اللفظ في الأصل على معنى عام يشترك فيه الضدّان كالفعلين (باع) و (شرى) فكلاهما يدل على البيع وعلى الشراء، إذ الأصل فيهما الدلالة على التبادل. واتفاق المعنيين في صيغة صرفية واحدة كالمتجث، تكون لمن قام بالاجتثاث والأصل فيها مُجتثِث، وللذي وقع عليه الاجتثاث والأصل مجتَثَث"[167] فالصيغة الصّرفية تحمل معنى أصلي متّفق عليه، لكن دروانها على الألسن قد يغيّر منها، لكن هذا لا يسقط من معناها وإنما تشيع الصيغتان لتحملان معنيين متّفق عليها.

أسباب أخرى مثل: اختلاف اللهجات: فأحد المعنيين لحيّ من العرب، والآخر لحيّ غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء، فنشأت الأضداد، مثل (الجون) يعني الأبيض في لغة حيّ من العرب، ويعني: الأسود في لغة حيّ آخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر"[168] الاختلاف اللهجي كان نصيب من التّضاد، فتعدّد استعمال لفظ في قبيلة يقابله استعمال آخر في قبيلة أخرى، ما يعني أنهما استعملاه في معنيين مختلفيين، ما يثبت تضاده.

---

[165] – سورة البقرة، آية 260.

[166] – عقيد خالد حمّودي العزّاوي و عماد بن خليفة الدّايني البعقوبي، الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية، ص370.

[167] – غازي طليمات، في علم اللغة، ص219.

[168] – عقيد خالد حمّودي العزّاوي و عماد بن خليفة الدّايني البعقوبي، الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية، ص371.

التضاد عند المحدثين:

لم يحظ التضاد عند المحدثين ما حظيت به بقية الظواهر اللغوية "إلا ما يأتي عرضًا عند بعضهم مثل ULLmann حين قال:"من المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد يعيش جنبًا إلى جنب لقرون طويلة بدون إحداث أي إزعاج أو مضايقة"[169] فهو لم يخصّص له بابا، وإنما جاء هذا الحديث عرضيا للتّأكيد عليه.

درسه المحدثون تحت مصطلح Antonymy (التضاد)، "إذ يشير هذا المصطلح إلى وقوع التّضاد بين دلالتي لفظتين مختلفين، وليس بين دلالتي لفظ واحد، وذلك كالتضاد بين لفظي الأبيض والأسود"[170] فائدة التضاد إذ أنه يوسّع من القيم التّعبيرية، ويبسط مداها اللفظي.

[169] – محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص194.

[170] – عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة دراسة تطبيقية، ص41.

المحاضرة الثالثة عشر

الاشتقاق مفهومه وأنواعه

من المتعارف عليه لدى علماء العربية أن الألفاظ منها ما يقبل التشقيق والتنويع بالزيادة والنقصان، ومنها بماهو جامد لا يتحلحل، ولا يتحوّل عن بنيته؛ تبعا للدلالات المتوخّاة منه. وقد تنبّه العلماء العرب إلى هذه الديناميكية، واستغلوها لمعرفة الأصل والفرع، والجوهر والهيئة، فكان أن حصل بين التصريف والاشتقاق تداخل لما بينهما من نسب متين، فكثر التأليف في التصريف الذي هو قسيم النحو، وقلّ في الاشتقاق الذي هو أقعد في اللغة"[171] اللغة العربية ثرية بثراء ألفاظها مما يُحقّق السهولة واليسر لمستعمليها.

يظهر أن بين التصريف والاشتقاق والنحو واللغة صلة ذكرها ابن جني في كتابه المنصف شرح كتاب التصريف للمازني حين قال:"وينبغي أن يُعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا، واتصالا شديدا، لأن التصريف إنما هو أن تَجئ الكلمة الواحدة فتُصرّفها على وجوه شَتّى، مثال ذلك أن تأتي إلى (ضَرَب) فتُبنى منه...فتقول:ضَرْبب) ومثل (قِمْطر)...أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة. وكذلك الإشتقاق أيضا، ألا ترى أنك تجئ إلى الضّرب الذي هو المصدر

[171]– سالم علوي، أبحاث ودروس في فقه اللغة، دار الآفاف، الجزائر، د ط، د س، ص43.

فتشتقّ منه الماضي فتقول: (ضَرَبَ)، ثم تشتقّ منه المضارع فتقول:(يَضْرب)، ثم تقول في اسم الفاعل (ضَارب)، وعلى هذا ما أشبه هذه الكلمة...إلا أن التّصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق، يدلّك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتابا في النحو إلا والتصريف في آخره، والاشتقاق إنّما يمرّ بك في كتب النحو منه ألفاظ مُشرّدة لا يكاد يعقد لها باب"[172]

بهذا فالإشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة وتكثير مفرداتها، وهو عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى، وقيل: هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر، مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعا. وقيل إنه عبارة توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد، يحدّد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد"[173] تنمو اللغة بمفرداتها التي لها تعلّق ببعضها البعض، لهذا يعتبر الإشتقاق أحد هذه الآليات التي تزيد في ألفاظها.

لهذا يعتبر الاشتقاق من أهم وسائل النمو اللغوي، والتعبير عن الدلالات الجديدة، ومكتشفات العلم واختراعاته، وتطور الحياة والحضارة. والاشتقاق في جوهره توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد"[174] يجد مستعمل اللغة لمعانيها ألفاظا بحكم التجدّد والتطور الذي تعرفه اللغة عن طريق توليد الألفاظ.

---

[172]– ابن جني، المنصف شرح كتاب التصريف للمازني، ج1، تح إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، مصر، ط1، 1954، ص03.

[173]– حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، جامعة بغداد، 1990، د ط، ص87.

[174]– محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، ص257.

تعريف الاشتقاق:

جاء في الصحاح للجوهري (ت393هـ):" الاشتقاق أخذ شق الشيئ وهو نصفه، والاشتقاق الأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد. واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه"[175] شقّ الشيئ فيه حركية، كذلك مافي الخصومة من شق في الكلام ومايصاحبه من حركية تجتمع عليه دلالة الكلمة.

والمتتبع للفظة في معاجم اللغة تتبعا زمنيا يرى أنه لم يطرأ على معناها المعجمي أي تغيير يذكر، فقد قال ابن فارس (395هـ) في مقايي اللغة:"يقال اشتق في الكلام وفي الخصومات (أخذ) يمينا وشمالا مع ترك القصد، كأنه يكون مرة في هذا الشق، ومرة في هذا. وفرس أشقّ، إذا مال في أحد شِقّيه عند عدوه. وقال الزمخشري (ت537هـ) في أساس البلاغة وذكر الفعل فقط:"اشتق في الكلام والخصومة أخذ يمينا وشمالا وترك القصد...واشتق الطريق في الفلاة مضى فيها..."[176] التتبع التاريخي والإيتيمولوجي للكلمة يتأكد أنه لم يطرأ عليها أي تغيير سوى ما أضفاه أصحاب المعاجم عليه من شروح وتجميع لبعض المعاني التي تظهر مع الاستعمال ودوران الكلمة على الألسن.

وقال الفيروزأبادي (ت817هـ) في القاموس المحيط:"الاشتقاق أخذ شق الشيئ، والأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا، وأخذ الكلمة من الكلمة. وقال الزبيدي (ت1205هـ) في تاج العروس:"الاشتقاق أخذ شِق الشيئ وهو نصفه كما في العباب. والاشتقاق بنيان الشيئ من المرتجل. وفي الصحاح الاشتقاق

---

[175]– فؤاد حنا طرزي، الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2005، ص15.

[176]– فؤاد حنا طرزي، الاشتقاق، ص16.

الأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد وهو مجاز. قال ومنه سمي أخذ الكلمة من الكلمة اشتقاقا"[177]

الاشتقاق في اللغة أخذ شيئ من شيئ. قال ابن منظور (ت911هـ) :اشتقاق الشيئ : بنيانه من المرتجل، واشتقا الكلام: الأخذ به يمينا وشمالا، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه"[178] يظهر أن معاجم الألفاظ لم تختلف عن بعضها وهي تقف على دلالة لفظ (الإشتقاق)؛ لربما السبب يعود في أن الكلمة فيها نوع من الإجراء كونه آلية تُفعّل مع حركية اللغة في زمان الاستعمال والتداول.

أما اصطلاحا فهو :"أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفا حروفًا أو هيئة. وعرف بأنه: عملية استخراج لفظ من لفظ، أو صيغة من صيغة أخرى. وعرف بأنه: استخراج لفظ من لفظ آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصلية"[179] عملية الإبداع البشري في عالم اللغة لا يستثني الاشتقاق.

الاشتقاق (Etymologie) عند علماء الغرب أحد فروع علم اللغة، التي تدرس المفردات وينحصر مجاله في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة وتزويد كل واحد منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها: من أين جاءت؟ ومتى وكيف صيغت؟ والتقلبات التي مرت بها. فهو إذن علم تاريخي، يحدد صيغة كل كلمة، في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه، ويدرس الطريق

---

[177]– فؤاد حنا طرزي، الاشتقاق، ص16.

[178]– حمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة موفهومه، ص207.

[179]– حمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة موفهومه، ص208.

الذي مرت به الكلمة مع التغييرات التي أصابتها من جهة المعنى، أو من جهة الاستعمال"[180]

فهو عند علماء الغرب "بهذا المعنى علم نظري عملي يعنى بتاريخ الكلمة، ويتتبع حياتها عبر العصور المختلفة، أما الاشتقاق عند العرب فهو علم عملي تطبيقي؛ لأنه عبارة عن توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد"[181] يظهر أن دلالة الإشتقاق عند الغرب يختص بالبحث عن أصول الكلمات، ففيه نوع من الإجراء، بينما عند العرب هو توليد من مادة إلى مادة.

يتأكد لنا بأن "لغة العرب بها أصول وفروع تولد أكثرها من طريق الاشتقاق وتبعا للحاجات الاجتماعية النامية وبفضل الاشتقاق غزرت المادة اللغوية فيها بما ستراه واضحا فيما بعد، ويتضح تمام الاتضاح أن لغة العرب ليست جامدة بل هي أولى اللغات لاعالمية احتفاظا بالاشتقاق واهتماما به"[182] لغة العرب ثرية وغنية.

وهو ما أكد عليه غير كثير من الباحثين بأن "الاشتقاق في أصول كلمات اللغة العربية بمثابة النتاج والتوليد في الأفراد المتكلمين بها. والتعريب في الكلمات الدخيلة الطارئة على تلك اللغة، كالتعرّب بالنسبة للدخلاء في الأمة العربية والملتحمين بها"[183]

---

[180]– رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، مصر، ط6، 1999، ص290.

[181]– رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص290.

[182]– عبد الغافار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، مكتبة وهبة، القاهرة ط5، 2004، ص178.

[183]– عبد القادر بن مصطفى المغربي، الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، 1908، ص08.

وعلى ضوء هذا يمكن القول أنه بلغ بالاشتقاق والتوليد عدد كلمات العربية "قدرا كبيرا جدا حتى لقد قالوا إنها قد احتوت على مشتقات قدرها سبعون ألف كلمة وهذا على طبيعة العرب في السخاء اللغوي كما هي عادتهم في سخائهم الطبيعي والمادي، ولذلك ترى ما تعجب له فقد وضعوا لبعض المعاني أسماء تفوق التصور، فللسيف ألف اسم، وللأسد خمسمائة..."[184] الثراء الذي تتمتع به العربية جعل لها الريادة بحكم السخاء الذي تتمتع به.

كتب الاشتقاق:

جاء في المزهر للسيوطي قوله: "أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدّمين منهم الأصمعي، وقطرب، وأبو الحسن الأخفش، وأبو نصر الباهلي، والمفضّل بن سلمة، والمبرد، وابن دريد، والزجاجا، وابن السرّاج، والرّمّاني، والنّحاس، وابن خالويه"[185]

1- أبو العباس الفضل بن محمد بن عامر الضبي (ت168هـ).
2- أبو علي محمد بن المستنير النحوي المعروف بقُطْرُب (ت206هـ)، له كتاب (الإشتقاق).
3- أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعي (ت215هـ)، له كتاب (اشتقاق الأسماء).
4- أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة الأخفش الأوسط (ت215هـ) له (كتاب الإشتقاق).

[184]- عبد الغافار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، ص178.

[185]- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح محمد أحمد جاد المولى بك و محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، ص351.

5- أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي، ابن أخت الأصمعي (ت231هـ)، له كتاب (اشتقاق الأسماء).

6- أبو الوليد عبد الملك بن قطن المُهري (ت253هـ)، ذكر الزبيدي في الطبقات أنه ألف كتابا في (اشتقاق الأسماء).

7- أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرّد (ت285هـ)، له كتاب (الإشتقاق) .

8- أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزّجّاج (ت316هـ) له كتاب (الإشتقاق).

هؤلاء من سبقوا ابن دريد في التأليف، وجاء من بعد ابن دريد:

9- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المراديّ ابن النّحّاس (ت338هـ)، له كتاب (الإشتقاق).

10- أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيْه (ت347هـ)، ذكر ابن النديم أنه ألف في الاشتقاق (الاشتقاق الصغير) و(الاشتقاق الكبير).

11- أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خَلَوَيْه (ت370هـ)، له كتاب (الإشتقاق).

12- أبو الحسن علي بن عيسى الرّمّاني، له كتاب (الإشتقاق) (ت384هـ).

13- أبو القاسم يوسف بن عبد الله الزّجاجي (ت415هـ)، صنع كتابا في (اشتقاق أسماء الرياحين).

14- حجّة الأفاضل علي بن محمد الخوارزمي (ت560هـ)، صنع كتابا في (اشتقاق أسماء المواضع والبلدان).

القول في الإشتقاق:

اختلف النحاة في أصل المشتقات، هذا ابن الأنباري (ت577هـ) في معرض حديثه عند (القول في أصل الإشتقاق، الفعل أو المصدر) يقول:"ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفَرْعٌ عليه، نحو (ضَرَبَ ضَرْبًا، وقَام قِيامًا) وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفَرْعٌ عليه. أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن المصدر مشتق من الفعل لأن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله، ألا ترى أنك تقول (قَاوَم قِوَامًا) فيصح المصدر لصحة الفعل"[186]

أشار ابن السرّاج (ت316هـ) إلى الاضطراب مذاهب العلماء في الاشتقاق فقال:" هذا كتاب توضح فيه الاشتقاق الواقع في كلام العرب، لما يعرض من الحيرة والاضطراب لكثير من الناس فيه، فهم مختلفون، فمنهم من يقول: لا اشتقاق في اللغة البتة، وهم الأقل، ومنهم من قال بل كل لفظتين متفقتين فاحداهما مشتقة من الأخرى، ومنهم من يقول: بعض ذلك غير مشتق، وهؤلاء هم جمهور أهل اللغة"[187]

وفي سؤال يطرحه ابن السرّاج بقوله: ما الغرض من الإشتقاق؟ ولم وقع في الكلام؟ وما الحاجة إليه؟ يجيب" الغرض في الإشتقاق أنه به اتّسع الكلام، وتسليط على القوافي والسجع والخطب، وتصرف في دقيق المعاني، وقد بان بعض ذلك. ولو جمدت المصادر وارتفع الإشتقاق في كل الكلام لم يوجد في الكلام صفة

---

[186]– ابن الأنباري (أبو البركات) (ت577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج1، دار الفكر، د ط، د س، ص236.

[187]– ابن السرّاج (ت316هـ)، رسالة في الإشتقاق، تح محمد علي الدرويش و مصطفى الحدري، دمشق، 1982، ص19.

لموصوف ولا فعل لفاعل. وفضل لغة العرب على سائر اللغات بهذه التصاريف وكثرتها، وأن بالحركة من الحركات؛ التي هي الضمة والفتحة والكسرة، وبالحرف يفوق بين معان لولا هذه الأبنية لاحتيج إلى كلام كثير، ألا ترى أنك قد فرقت بقولك (ضَرَب) بينه وبين معنى الضرب برحكة، فنابت عن ذكر الزمان وعن أنه فعل يقتضي فاعلا، وكذلك إذا سمعت (حصين) و (حصان) فرق لك البناءان بين الموادين. وهذا أعظم وأهم وأكثر من أن أعدّده، ويكفي التنبيه عليه"[188]

ويضيف عليه:"وأما ما ذكرته لك أن الإشتقاق اتّسع في الكلام وقوي به الشاعر على القوافي، فلو تفقدت الأراجيز خاصة لعلمت غناء الإشتقاق واتّساع القوم به. وفي كل الشعر لن تعدم بعض ذلك، لأنك ربما وجدت الشاعر من القدماء الفصحاء يحوجه الوزن إلى قلب البناء، أو يحتاج إلى المعنى فيشتق له لفظا يلتئم به شعره. ولذا ما وقعت الزوائد في كلام العرب لغير معنى مستفاد"[189]

إذن فليس "أصل الإشتقاق المصدر وحده كما يقول البصريون، ولا الفعل وحده كما يقول الكوفيون، ولا الأسماء الجامدة وأسماء الأصوات..بل جميع هذه وغيرها من أسماء مشتقة وحروف. وإن الاقتصار على باب واحد من هذه الأبواب كأساس لصوغ نظرية جامعة شاملة إنما هو من قبيل التحكّم، والحكم بالكليات على الجزئيات"[190]

أما حلّ هذا الإشكال فهو "منتزع من واقع اللغة بأسرها، يأخذ بعين الاعتبار جزئياتها ليصوغ منها كُلًّا تبنى عليه نظرية عامة، ويتلخص هذا المذهب فيما يلي:

---

[188]– ابن السّرّاج (ت316هـ)، رسالة في الإشتقاق، ص28.

[189]– ابن السّرّاج (ت316هـ)، رسالة في الإشتقاق، ص28.

[190]– فؤاد حنا طرزي، الإشتقاق، ص70.

1- إن أصل الاشتقاق في العربية ليس واحدا، فقد اشتقّ العرب من الأفعال والأسماء (الجامد منها والمشتقّ)، والحروف، ولكن بأقدار تقلّ حسب ترتيبها هذا، فأكثر ما اشتق منه الأفعال، ثم الأسماء، فالحروف.

2- إن ما ندعوه بالمشتقّات –بما فيها المصادر- قد اشتق من الأفعال بصورة عامة.

3- إن هذه الأفعال بدورها قد تكون أصيلة مرتجلة، وقد تكون اشتقت من أسماء جامدة، أو ما يشبه الأسماء الجامدة من أسماء الأصوات والحروف"[191]

منفعة الإشتقاق:

في سؤال سأله هل في العلم بالإشتقاق منفعة لمن أحب علم لغة العرب؟ يقول:" الجواب في ذلك أن المنفعة عظيمة فيه لأن من تعاطى علمه سهل عليه حفظ كثير من اللغة، لأن أكثر الكلام بعضه من بعض، فإذا مرت ألفاظ منتشرة بأبنية مختلفة جمعها وجعل ذاك رباطا لها، فلم تعجزه وحفظ الكثير بالقليل، ومن المنفعة أيضا به (أنه ربما سمع العالم الكلمة لا يعرفها من أجل بنائها وصيغتها، ويعرف ما يساوي حروفها، فيطلب لها مخرجا منه، فكثيرا ما يظفر.وعلى هذا سائر العلماء في تفسير الأشعار وكلام العرب. ومن ذلك أنه متى روى بعض الرواة حرفا لا تعرفه بذلك البناء، فرده إلى ما تشتقه منه، وثق بصحة الرواية وأمن التصحيف"[192] منفعة الاشتقاق عظيمة كونه يسهل على مستعمل اللغة التحرّك بسهولة ويسر في عوالم الألفاظ والمعاني والعملية التواصلية.

---

[191]- فؤاد حنا طرزي، الإشتقاق، ص70.

[192]- ابن السّرّاج (ت316هـ)، رسالة في الإشتقاق، ص30.

أضرب الإشتقاق:

إنما ندرس الإشتقاق في ظلال دلالته الوضعية على أنه توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد. وهذه الوسيلة الرائعة في توليد الألفاظ وتجديد الدلالات نجدها في أنواع الإشتقاق الثلاثة الشائعة: الأصغر، والكبير، والأكبر؛ وفي النوع الرابع الملحق بها، وهو النحت الذي يؤثر بعض المحدثين أن يسميه (الإشتقاق الكبّار)"[193] استخرج العلماء أنواعا من الاشتقاق بحكم الثراء اللغوي، فهذه آليات لضبط اللغة.

الإشتقاق الصغير:

ويسمى الأصغر، أو العام، أو الصرفي وهو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيأة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، وزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيأة كضارب من ضرب، وحذر من حذر"[194] بين الصيغ الصغرى يتواجد الاشتقاق الأصغر.

قال ابن جني في الخصائص: "إن الإشتقاق على ضربين: كبير وصغير. فالصّغير أن نأخذ أصلا من الأصول فتتقرّاه، وتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كترتيب (س ل م)، فإنك تجد منه معنى السّلامة في تصرّفه؛ نحو: سَلِم، يَسْلم، سَالِم، وسَلْمى، والسَلامة، والسّليم: اللديغ؛ أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة، وعلى ذلك بقية الباب إذا تأوّلته. وبقية الأصول غيره؛ كتركيب

[193]– صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص174.

[194]– حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص79.

(ض ر ب)، وتركيب (ح ر س)، وتركيب (ن ب ل). قال: فهذا هو الإشتقاق الصغير"[195]

يبدو أنه أكثر أنواع الإشتقاق ورودا في العربية، وهو محتجّ به لدى أكثر علماء اللغة، وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة، حتى يَرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ كلها دلالة واطراد أو حروفا غالبة؛ كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط، أما ضارب ومضروب، ويضرب، واضرب فكلّها أكثر دلالة وأكثرُ حروفا، وضرب الماضي مُساوِ حروفا وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في ض ر ب، وفي هيئة تركيبها"[196] الاشتقاق الأصغر وارد بقوة في العربية بحكم الارتباط الوثيق بين صيغه.

يشترط لصحة الاشتقاق بهذا المعنى:

1- الاشتراك في عدد من الحروف، وهي في اللغة العربية ثلاثة.
2- أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيبا واحد في هذه الألأفاظ
3- أن يكون بين هذه الألفاظ قدر مشترك من المعنى ولو على تقدير الأصل"[197]

السيوطي في كتابه (المزهر) أورد رأيا مفاده أنهم: "اختلفوا في الاشتقاق الأصغر؛ فقال سيبويه، والخليل، وأبو عمرو، وأبو الخطاب، وعيسى بن عمر، والأصمعي، وأبو زيد، وابن الأعرابي، والشيباني، وطائفة: بعض الكلم مشتقّ، وبعضه غير مشتق.

---

[195]- ابن جني، الخصائص، ج2، ص134.

[196]- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص175.

[197]- عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، ص203.

وقالت طائفة من المتأخرين اللغويين: كل الكلم مشتقّ؛ ونسب ذلك إلى سيبويه والزجّاج. وقالت طائفة من النظار: الكلم كله أصل، والقول الأوسط"[198] يبدو الاختلاف ظاهرا بين العلماء حول وجود الاشتقاق، حيث يرى علماء أن الكم كله أصل، بينما يرى أخرون وجود الاشتقاق.

الاشتقاق الكبير:

أطلق عليه ابن جني تسمية الاشتقاق الأكبر في قوله: "وأما الإشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا. تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيئ من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الإشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد. وقد كنا قدمنا ذكر طَرَف من هذا الضرب من الاشتقاق في أول هذا الكتاب عند ذكرنا أصل الكلام والقول وما يجئ من تقليب تراكيبها؛ نحو (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل) (م ل ك) (ل ك م) (ل م ك)...وذلك أن عقدنا تقاليب الكلم الستة على القوة والشدة"[199] يبدو الاشتقاق الكبير ظاهرا في آلية التقاليب الست التي كان للخليل بن أحمد الفراهيدي وقفة متأنية معها، ومن جاء بعده وسّع في تطبيقها.

ولما لم يكن معروفا على جهة اليقين أي اللفظتين أسبق على صاحبه في هذا النوع من الاشتقاق، ليكون السابق هو المشتق منه، واللاحق هو المشتق، فقد اصطلحوا على أن الكلمة الأكثر شيوعا وتداولا تجعل الأصل المشتق منه،

---

[198]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1، ص348.

[199]– ابن جني، الخصائص، ج2، ص135.

والأخرى الأقل شيوعا تجعل مشتقًا: فمن ثمة كان الجذب هو الأصل، وجبذ هو الفرع المشتق، لأن (جذب) دائر على ألسنتهم أكثر من (جبذ)"[200]

وفكرة التقاليب تعود إلى الخليل بن أحمد الذي حاول حصر كل المستعمل من كلمات اللغة العربية معتمدا على تقليب اللفظ إلى كل الاحتمالات الممكنة، ومبينا المستعمل من هذه التقاليب من غير المستعمل، وعلى أساس فكرة التقاليب هذه بنى معجمه (العين). ولابد من الإشارة إلى أن الخليل لم ير أن التقاليب الستة للكلمة الثلاثية تدخل في باب اشتقاق واحد، وترجع إلى أصل واحد يجمعهما بسبب اشتراكهما في الحروف الثلاثة مهما يكن موقعها وترتيبها، وإنما الباعث له على هذا الترتيب فكرة إحصائية"[201] السبق كان للخليل في استحداث آلية التقاليب الست، وهذا إدراكا منه لأهمية جمع مفردات اللغة ومحاولة التثبّت في جمعها بهذه الآلية.

الاشتقاق الأكبر:

يقصد به "الإبدال اللغوي، وهو ارتباط قسم من المجموعات الثلاثية الصوتية ببيعض المعاني ارتباطا عاما لا يتقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته، فمتى وردت تلك المجموعات على ترتيبها الأصلي فلابدّ أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة، سواء احتفظت بأصواتها أم استعاضت عن هذه الأصوات أو بعضها بحروف أُخَر تقارب مخرجها الصوتي أو تتحد معها في جميع الصفات"[202]

وهو نوعان:

---

[200]– محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، ط4، د س، ص332.

[201]– حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص82.

[202]– حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص83.

1- الإبدال الصرفي وهو أن تقيم مكان حروف معينة حروفا أخرى، بغية تيسير اللفظ وتسهيله، أو الوصول بالكلمة إلى الهيئة التي يشيع استعمالها كإبدال الواو ألفا نحو: صام ألصها صَوَمَ، أو كإبدال الطاء من التاء في اصطنع وأصلها اصتنع، وقد اهتم النحاة اهتماما كبيرا بهذا النوع من الإبدال، فاختلفوا في عدد حروفه، فهي عند بعضهم تسعة (9) أحروف يجمعها قولك (هدأت موطيا)، وهي عند سيبويه أحد عشر (11) حرفا"[203]

المحاضرة الرابعة عشر

الدّخيل والمعرّب

إن العربية ليست بدعًا من اللغات الإنسانية، فهي جميعا تتبادل التأثر والتأثير، وهي جميعا تُقرِض غيرها وتقترض منه، متى تجاورت أو اتصل بعضها ببعض على أي وجه وبأي سبب، ولأي غاية"[204] لا تسلم كل لغات العالم من التأثير والتأثّر، تظهر بوادره في تلك الكلمات التي نجدها تتأرجح بين لغتين أو أكثر.

يسمى ما دخل في اللغة العربة من لغات أخرى "دخيلا، ولكل عصر دخيله، فكان معظم الدخيل في العصر الجاهلي من اللغات الفارسية، والسريانية، واليونانية؛ وفي بعض العصور الإسلامية كثرت الكلمات الدّخيلة من الغتين التركية والفارسية"[205] ماهو خارج عن الاستعمال عادي اليومي ويدخل أي لغة يسمى دخيلا، ولكل عصر ألفاظه التي دخلت اللغة لذلك فهي تنتسب إليه.

---

[203]– إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص206.

[204]– صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص315.

[205]– ف عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص07.

تعريفه:

لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:"الدال ولخاء واللام أصل مطّرد منقاس، وهو الولوج.يقال: دخل يدخل دخولا...وبنو فلان في بني فلان دخيل: إذا انتسبوا معهم..ودخيلك: الذي يداخلك في أمورك"[206] أصل الكلمة وهي مجتمعة حروفها تعطي دلالة الدخول.

اصطلاحا:

لم يشع الدّخيل في اللغة مصطلحا متفقا عليه...وإن حظي باهتمام السلف في مرحلة معالجة غريب القرآن الكريم، ومرحلة (تنقية اللغة) بعد ذاك "ولم تكن النظرة إليه بمنظار الخوف أو الخطر، كان كالضيف الغريب، حلّ بهذه اللغة، أو أدخلوه فيها، فكان مثله كمثل الأقوال التي اختلطت بهم، وخاصة زمن الفتوح، بقي بعضها معزولا محايداً لا صلة له بالعرب ولا أثر لهم في حياتهم، أو منزلة. وعلا بعضها فساوى العرب في الأثر والمولاة والمصاهرة، حتى نُسْب إليه، واستوى أصله عربيا أو كالعربي"[207] الدخيل ليس بدعا في اللغة العربية، فالأوائل لم ينظرو إيه على أنه ضيف غريب أو غير مرحب به، بل على العكس نال الترحيب والحظوة في الاستعمال والقبول على مر العصور.

جاء في كتاب (المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل) في معنى الدخيل والمعرّب:"الألفاظ الغريبة عن اللغة التي احتاجتها العرب من لغات أخرى اضطرّت إلى تعريبها أو تركها كما هي"[208] فكل كلمة دخلت إلى العربية ليست من العربية فهي دخيلة، سواء أعربت أم تركت على حالها.

---

[206]– ابن فارس، المقاييس في اللغة،

[207]– مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د ط، 1982، ص26.

[208]– سعدي ضنّاوي، المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص06.

يعرّفه عباس مشتاق في المعجم المفصل بقوله: "مجموعة من الألفاظ والصيغ الوافدة على لغة أخرى من دون أن يتم التعديل فيها بحيث تستعمل صياغة ونطقا كما كانت تستعمل وتنطق في لغتها الأم. وهذا المصطلح من مصطلحات متننا اللساني القديم، الذي دل على مجموعة من الألفاظ والصيغ التي دخلت العربية واستعملت وفقا لام كانت تستعمل في لغتها الأم"[209] الوافد الجديد في اللغة العربية يسمى دخيلا حسب عباس مشتاق، على أن لا يتم التصرّف فيه أو التعديل بل تبقى محافظة على كيانها المورفولوجي؛ على هذه الصورة " بدأ التنبّه عبل وجود الدّخيل والمعرّب، وعلى ضوء هذه الاعتبارات الوضعية بدأ الدّخيل في العربية الفصحى يعرف ويسمى مقرونا بالأعجمي والمعرّب والمولّد عند نفر من اللغويين قدماء ومحدثين"[210] العربي يعرف لغته سمعا ونطقا دون الإحاطة الشاملة بها، لذا إذا دخل أي لفظ إليها يدركه بسرعة وعن كثب كون حروف الدّخيل فيها ميزات ليس في لغة العربي.

يلتبس مصطلح الدّخيل أحيانا في أذهان الدارسين بمصطلحي المعرّب، والمولَّد، في حين أن لكل من المصطلحات الثلاثة مدلولا مختلفا عن الآخر.

لقد درج القدماء على "تسمية الدخيل بالأعجمي، ولا فرق كبيرا بنهما، فهي تسمية مسوّغة يمكن توجيهها لأن الأعجمي في عرف القدماء ضد العربي، أو كل ما ليس بعربي؛ سمي الأعجم بذلك لأنه لا يفصح ولا يبيّن كلامه، وكل من لا يقدر على الكلام أصلا فهو –عندهم– أعجم. والعربي: الذي يفصح و (يعرب) عما في نفسه. والدّخيل أعجمي الأصل أيّما حال لكونه صدر ابتداء عن أولئك الأعاجم. ومن هنا كان عنوان كتاب أبي منصور الجواليقي (المعرّب من الكلام

---

[209]– عباس مشتاق، المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص89.

[210]– مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص26.

الأعجمي)"[211] كل ما دخل إلى العربية فهو أعجمي ودخيل، ذلك أنه فيه ثقل وعدم قدرة على نطقه بسلاسة ويسر، وهي خاصية الأعجمي الذي لا يستطيع نطق ألفاظ اللغة بيسر.

الدّخيل هو كل ما دخل اللغة العربية من مفردات أعجمية في أي عصر من العصور "سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في عصور الاحتجاج، وما استعمله المولّدون بعد هذه العصور، والعرب الفصحاء عند الباحثين المحدثين هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن (4هـ)، وعرب الأمصار إلى نهاية ق (3هـ) تلك إذا هي حدود عصور الاحتجاج باللغة"[212] يبدو أن تحديد فترة الاحتجاج بين ق3هـ و4هـ له صلة بالدخيل، لأن الانفتاح على الأمم الأخرى يفتح باب دخول ألفاظها؛ إذا فالدّخيل "ما دخل العربية من اللغات الأخرى بعد عصور الاحتجاج، أو في مرحلة متأخرة منه، ولم يخضع لمقاييس العربية وبناءها"[213] الاحتجاج أو تقعيد اللغة حدّده العلماء بشروط زمانية ومكانية وكانوا فيه صارمين لحماية اللغة العربية من كل ما يضير بها.

أما **الأعجمي** هو "خلاف العربي بشكل عام، أما الفارسي والرومي والحبشي ونحوه فهو تخصيص لنسبة اللفظ إلى هذا اللسان دون غيره، لذلك ترد كلمة الأعجمي لتدل على الدّخيل الذي أُخِذ من كلام الأعاجم الذين هم غير العرب مطلقا"[214] كل ما هو خلاف العربي فهو أعجمي، فهو تحديد لأطر الاستعمال اللساني بين العربي وغيره من الألسن.

---

[211]– مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص30.

[212]– محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، ص320.

[213]– نذير جعفر، الدّخيل والأثيل في شعر أمية بن أبي الصَّلت دراسة لغوية دلالية مقارنة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، د ط، عام 2012، ص45.

[214]– نذير جعفر، الدّخيل والأثيل في شعر أمية بن أبي الصَّلت، ص45.

أما "المولَّدون فهم من عاشوا بعد هذه العصور ولو كانوا من أصل عربي. والمعرَّب هو ذلك الدّخيل الأعجمي الذي استعمله فصحاء العرب، وأما الأعجمي المولَّد فهو ما استعمله المولَّدون من مفردات أعجمية لم يعربها فصحاء العرب"[215] من عاش في حاضرة العرب بعد عصور الاحتجاج وكانت له ألفاظ يستعملها فهي مُولّدة وداخلة في العجمة.

أما المعرّب كما عرّفه السيوطي هو :"ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها. قال الجوهري في الصحاح: تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العرب على مِنهاجها، تقول: عرَّبَتْه العرب وأَعْرَبَته أيضا"[216] عملية النقل في المُعرّب هي الفيصل مع التغيير في المعان عند الاستعمال العربي لها؛ والمعرّب والدّخيل من الألفاظ قديم في لغتنا، وهو تحويل طبيعي تدريجي يطرأ على اللغة ويجري بها في ناموس مطّرد، وقد خضعت له اللغة العربية بمجموعها ومن أول نشأتها كما تخضع له الآن وبعد الآن"[217] لكل ماهو دخيل ومعرّب من الألفاظ في القديم يدخل في باب التحول الذي يطرأ على الغة.

من خلال هذه التعاريف نستخلص من "تلك المحاولات بالعبارة المتوارثة وهي أن تلك الألفاظ الدّخيلة أعجمية الأصل عربية الحال"[218] يظهر من خلال البحث أن المصطلحات استعملها الخليل (ت175ه) "وهو يحاول التميز بين مجاميع الكلمات العربية الأصلية وغير الأصلية سواء كانت ذات أصل عربي أو غير عربي، وذلك وفق معايير صوتية ولغوية استقاها من استقرائه لطبيعة النسيج الصوتي للكلمة العربية بحيث انتهى إلى وضع قانون عام يمكن أن نطلق عليه

---

[215]– محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، ص320.

[216]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح محمد عبد الرّحيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2010 ص209.

[217]– حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، ص91.

[218]– مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص54.

(قانون الذلاقة). قال الخليل: إذا وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق والشفوية 'الراء واللام والنون والفاء والباء والميم، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو إثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب"[219] يعتبر الخليل صاحب جهد فعّال في اللغة العربية، كانت له وقفة مع كل ما دخل العربية حيث ميزه بميزات (صرفية) و (صوتية) لمعرفته عن كثب.

الخلاف في المعرّب:

ليس الدّخيل في لغة ما علامة على ضعفها وانحدارها، إلا إذا طغى على أثيلها وهدّد بنيتها لسبب من الأسباب، وليس من لغة يحتك أبناؤها بسواهم من المتكلمين بلغات مختلفة إلا تأثرت بها فأخذت منها وأعطتها بهذا القدر أو ذاك، فاللغة لا تفسد بالدّخيل بل حياتها في هضم هذا الدّخيل، لأن مقدرة لغة ما على تمثّل الكلام الأجنبي، تعدّ مزية وخصيصة لها، إذ هي صاغته على أوزانها، وصبته في قوالبها، ونفخت فيه من روحها، وتركت عليه بصماتها"[220] اللغة العربية حيّة ذلك أننا واجدون فيها ظواهر تدل على حيويتها مثل الدّخيل، هذا لا ينقص من قيمتها ولا من قيمة مستعمليها.

يبدو إن "النّظر المبكّر لم يكن بمنظار لغوي صرف، ولم يكن علمًا لذاته، بل كان بمنظار ديني وجزءا من علوم القرآن العامة. وهذا هو الاعتبار الذي أخذ به بعض الأئمة ظاهرة وجود الأعجمي في القرآن أي الاعتبار الدّيني، لكن بصفة عامة نتج عن هذا الموضوع ثلاثة اتجاهات:

---

[219]– حلمي خليل، المعرّب والدّخيل في المعجم اللغوي التاريخي، مجلة المعجمية، تونس، ع 5–6، عام 1990، ص316.

[220]– نذير جعفر، الدّخيل والأثيل في شعر أمية بن أبي الصّلت، ص48.

1. اتّجاه ينكر وجود الأعجمي في القرآن كلّية.
2. اتّجاه يقول بوجوده صراحة.
3. اتّجاه وسط يوفق بين الاتجاهين السابقين"[221] الاتجاهات الثلاث حضرت في كتب التراث كلٌ له أسبابه ودواعيه.

جاء في المزهر للسيوطي قوله:"وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: أما لغات العَجَم في القرآن فإن الناس اختلفوا فيها؛ فروي عن ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وعكرمة، وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرفٍ كثيرة إنها بلغات العجم، منها قوله: ذَه، واليمّ، والطور، والرّبّانيون، فقال: إنها بالسّريانية، والصراط، والقِسْطاس، والفِرْدوس، يقال: إنها بالرّومية. ومِشْكَاة، وكِفْلَيْنِ يقال: إنها بالحبشية"[222]

1/ القائلون بالمنع:

وهذا قول الإمام الشافعي، وأبي عبيدة، وابن فارس وغيرهم، وقد استدلوا على المنع بقوله تعالى:"قرآنا عربيا"[223] وقوله "ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصّلت آياته"؛ وقد شدّد الشافعي النّكير على القائل بذلك"[224] ربما المنع هنا خوفا على لغة القرآن الكريم ورغبة في إحاطتها بسياج قوي كي لا تصبح عرضة للكلام عنها بشكل غير لائق.

وقال أبو عبيدة:"إنما أُنزل القرآن بلسان عربي مبين؛ فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول. وقال ابن

---

[221]– مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص71.

[222]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص209.

[223]– سورة الزخرف، الآية 03.

[224]– محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، ص159.

فارس معلّقا على قول أبي عبيدة:"فإن قال قائل فما تأويل قول أبي عبيدة فقد أعظم وأكبر؟ قيل له: تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير؛ وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه.وقال آخرون:"كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متّسعة جدا"[225] أبو عبيدة من أجل العملاء الذي كتب عن لغة القرآن في كتابه (مجاز القرآن) فهو يتكلم من باب المتمكن لذا كان رأيه برفض الدخيل في لغة القرآن.

جاء في المزهر عن السيوطي قوله:"قال الإمام بدر الدين الزركشي في البرهان في علوم القرآن في معرفة ما فيه –أي القرآن– من غير لغة العرب"اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب، فلا تجوز قراءته وتلاوته إلا بها، لقوله تعالى في سورة يوسف"إنا أنزلناه قرآنا عربيا"[226] وقوله في سورة فصلت "ولو جعلناه قرآنا أعجميا"[227] يدل على أنه ليس فيه غير العربي؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدةً لنبيه (صلى الله عليه وسلم)، ودلالة قاطعة لصدقه، وليتحدّى العرب العرْباء، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته؛ فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة؛ هذا مذهب الشافعي وهو قول جمهور العلماء؛ منهم أبو عبيدة، ومحمد بن جرير الطبري، والقاضي أبو بكر بن الطيّب الباقلاني في كتابه (التقريب)، وأبو الحسن بن فارس اللغوي وغيرهم"[228] السيوطي جامع لما رآه في كتب سابقيه حول ظاهرة الدخيل، لذا نجده ميّالا لرأي الرفض أكثر.

---

[225]– محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، ص159.

[226]– سورة يوسف، الآية 02.

[227]– سورة فصلت، الآية 44.

[228]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص210.

وقال الشافعي في (الرسالة):"وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلّم فيه لكان الإمساك أولى، وأقرب من السلامة له، فقال قائل منهم: إن في القرآن عربيا وأعجميأ، والقرآن يدل على أنه ليس في كتاب الله شيئ إلا بلسان العرب"[229] يظهر أن الإمام الشافعي لم يترك ولا شاردة في كتابه الرسالة، فوقوفه على ظاهرة الدخيل بالرفض دليل على معرفته العميقة بلغة القرآن.

يبدو أن أصحاب هذا التجاه متشدّدون فهم ذهبوا إلى "الاحتجاج على عدم الوقوع بالآيات الكريمة التي تنصّ على عربيته صراحة، أو باتفاق اوارد الوقوع في اللغات، أو باتّساع لغة العرب بحيث لا يحيط بها إلا نبي"[230] الرفض لوجود الألفاظ الدخيلة رغبة في التدليل على عربية القرآن أكثر.

2/ القائلون بوقوعه:

لاحظ الدارسون الأوائل للقرآن الكريم "وجود مثل هذه الكلمات فأفْردوا لها من درسهم للقرآن الكريم جانبا خاصا عرف عندهم باسم (لغات القرآن)، ويبدو أن أول من تكلم في وقع هذا النوع من الكلمات في القرآن هو عبد الله بن عباس (ت68هـ)، فقد روي أنه قال في أحرف كثيرة من القرآن أنها (أعجمية) مثل: طه، واليمّ، والطّور، والربّانيون فقال: إنها من السريانية، والصّراط والقسطاس، والفردوس وقال إنها من الرومية، والمشكاة وكفلين من الحبشية وغير ذلك"[231] ابن عباس على معرفة كبيرة بالقرآن لذا استخرج منه ألفاظ دخيلة وهي من لغات غير العربية.

---

[229]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص210.

[230]– مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص73.

[231]– حلمي خليل، المعرّب والدّخيل في المعجم اللغوي التاريخي، مجلة المعجمية، تونس، ع 5–6، عام 1990، ص314.

جاء في المزهر للسيوطي قوله:"ومذهب ابن عباس وعكرمة وغيرهما أنه وقع في القرآن ماليس من لغتهم؛ فمن ذلك: الطور (جبل) بالسريانية، وطفقا (أي قصدا) بالرومية، والقسط والقسطاس: (العدل) بالرومية..."[232]

"وأقوى ما رأيته وهو اختياري، ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي مسيرة التابعي قال: في القرآن من كل لسان، وروي مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه...ثم رأيت ابن النقيب صرّح بذلك فقال: من خصائص القرآن على سائر الكتب المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ولم ينزل فيها شيئ بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والحبشة شيء كثير"[233] يبدو أن أصحاب هذا الاتجاه احتجوا "بتوجيه الآيات إلى معنىً آخر كقولهم إن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا..."[234] سندهم في ذلك آيات صريحة من القرآن الكريم تدل على عربية القرآن الكريم وخلوه من الدخيل.

3/ التوفيق بين الرأيين:

من الذين توسّطو بين الرأيين نجد أبو عبيدة في قوله: "والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعا؛ وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعْرَبتها بألسِنتها، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام

---

[232]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص210.

[233]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص137.

[234]– مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص74.

العرب؛ فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق"[235] لربما وجد أبو عبيدة التوسط بين الرأيين حلّا للمعضلة كي لا يبخس حق أي فريق.

يبدو أن أبو عبيدة فطن "إلى أسباب الخلاف بين الطائفتين، فمن نظر إلى أصلها أي من نظر إلى مثل هذه الكلمات نظرة تاريخية (Diachronic) قال بأعجميتها؛ ومن نظر إليها نظرة آنية وصفية (Synchronic) قال بعربيتها"[236] بين التاريخ والآني الوصفي الاستعمالي كان تواجد أبو عبيدة.

وكأن البحث في الدّخيل خطى "خطوة أخرى نحو اعتماد الحجة اللغوية مفتاحا لما استغلق من أبوابه، غير مكتف بتوجيه المعاني الدينية في الآيات الكريمة وتنزيه الإسلام والعربية عن شبهة اللفظ الأعجمي، وعلى هذه الصورة ينهض رأي أبي عبيدة ومن تبعه فيه أمارة على الانعطاف بمسار الموضوع نحو وجهة لغوية تقرر حقيقة أولى هي أن أصول تلك الكلمات أعجمية، ثم حقيقة ثانية وهي انتقالها إلى العربية، ومن آثار هذا يتولّد في العربية مصطلح المعرّب والتّعريب"[237] الانتقال بين اللغات حقيقة لا يمكن إنكارها، لذا نرى الألفاظ المولّدة متقاربة مع امعرّب.

ذكر الجواليقي (466هـ-540هـ) في المعرّب مثله وقال فهي عجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال، ويطلق على المعرّب الدّخيل"[238]

يبدو أن البحث العلمي المتقدّم في اللغة أصبح المصطلح تحت تسمية (Etymologie) وهو حقيقة من حقائق التقدم العلمي "ذلك أن طبيعة جهود القدماء

---

[235]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص210.

[236]– حلمي خليل، المعرّب والدّخيل في المعجم اللغوي التاريخي، ص315.

[237]– مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص74.

[238]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص210.

أغنتهم بما استنبطوه من أحكام نظرية عن التطبيق المتّسع الذي لا يملكون أداته ومفاتيحه وجعلتهم يكتفون بالمنهج الوصفي الممكن بديلا عن المنهج التحليلي هنا...وعندما لم يكن من التحليل والتطبيق مناص كان نشاطهم يتّجه إلى اللغة العربية: فتنتقل الألفاظ الدّخيلة –تأصيلا– بالسند كالأحاديث المعنعنة أو المرفوعة، ويجري تأثيلها على الأثول العربية، وتخضع أصواتها وأبنيتها وأوزانها لما يمكن أن يناظرها في العربية"[239] البحث في أصول الكلمات كان حلا تأثيليا بإخضاعها لأصوات العربية وأبنيتها.

علامات الدّخيل المعرّب:

وضع العلماء علامات لتمييز الدّخيل المعرّب من العربي أهمها:

1- النّقل بأن يُنقل ذلك أحد أئمة العربية.
2- خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو (إبْرَيْسَم)؛ فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربية.
3- أن يكون أوله نون ثم راء نحو: (نرْجس)؛ فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.
4- أن يكون آخره زاي بعد دال نحو (مهندز)؛ فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.
5- أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو (الصَّوْلجان) و (الجصّ).
6- أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو (المنجنيق).
7- أن يكون خماسيا ورباعيا عاريا عن حروف الذّلاقة، وهي: الباء، الراء، الفاء، الميم، النون؛ فإنه متى كان عربيا، فلابدّ أن يكون فيه شيء منها؛

[239]– مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص75.

نحو: (سَفَرْجَل)"[240] هي اجتهادات العلماء وقوفا على اللغة العربية، لذا وجدوا هذه العلامات تحديدا للدخيل وتمييزه عن الأصيل.

الدّخيل عند المحدثين:

سار بعض المحدثين على نهج السلف ممن نفى وقوع الدّخيل في القرآن الكريم، أو في الشعر الجاهلي، ومنه شعر أمية بن أبي الصّلت، محاولا تخريج ما جاء تحت هذا المصطلح بطرق شتّى، أقل ما يقال فيها أنها تصدر عن روح متعصّبة، وتفتقر إلى سند علمي قائم على معرفة باللغات...الشخ أحمد محمد شاكر محقّق كتاب المعرّب الجواليقي، الذي يحاول ردّ كثير من الدّخيل السرياني أو العبري أو الفارسي إلى أصل عربي"[241] يبدو أن المحدثين بحقوا موضوع التعريب وكانوا في فريقين:

الأول: منعوا فتح باب التعريب؛ بحجة المحافظة على العربية.

والفريق الآخر: أجازوا ذلك، وقالوا: إنه لابد من مواجهة الحديث، وبهذا تكون المحافظة الحقة على العربية؛ إن ترك التعريب فيه حجر على اللغة، ومن ثم يصدق عليها قول من يَصْمها بأنها ميتة. وقالوا أيضا: إن التعريب من أساليب تنمية اللغة، ودلالة سعتها، واستيعابها"[242]

بذلك لجأوا إلى وضع شروط للتعريب منها:"

1. أن يكون اللفظ المعرّب مما نحتاج إليه تمام الاحتياج.

---

[240]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص213.

[241]– نذير جعفر، الدّخيل والأثيل في شعر أمية بن أبي الصَّلت، ص49.

[242]– محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، ص172.

2. أن يكون على مقاييس العرب، فلابد من إخضاعه على العربية من الناحية الصوتية والصّرفية.

وهذا النص قرار المجمع:"يجيز المجمع أن يُستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم"[243]

يشرح الشيخ أحمد الإسكندري هذا القرار بقوله: "فعبارة القرار تقتضي استعمال بعض الأعجمي في فصيح الكلام، وتقييده بلفظ (بعض) دون جنس الألفاظ يفيد أن الرد المراد الألفاظ الفنية والعلمية التي يعجز عن إيجاد مقابل لها لا الأدبية، ولا الألفاظ ذات المعاني العادية...والمراد بالعرب في القرار العربي الذي يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم، وهم عرب الأمصار إلى نهاية ق2هـ، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى أواسط ق4هـ"[244] يبدو أن التحديد الزمني والمكاني لعصور الاحتجاج انتقل إلى العصر الحديث حيث وجد فيه العلماء مخرجا علنيا لتحديد الدخيل والأصيل.

المؤلفات في الدّخيل والمعرّب:

1) كتاب (المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف العجم) لأبي منصور الجواليقي (ت540هـ).
2) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل لشهاب الدّين الخفاجي (977هـ-1069هـ)
3) المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب للسيوطي.

---

[243]- محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، ص173.

[244]- محمد محسن عبد العزيز، التّعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، د س، ص205.

المحاضرة الخامسة عشر

الإعراب وبناء الكلمة في العربية

من الموضوعات التي اتم بدراستها علماء اللغة وفقهاؤها موضوع الإعراب، وتعددت المؤلفات في النحو عامة ، وظاهرة الإعراب بخاصة، وكانت اطلاقة الدرس اللغوي العربي من مما قدمه أبو الأسود الدؤلي في ضبطه لعلامات الإعراب، ولحفظ القرآن الكريم (69هـ) من اللحن، فكانت بذلك انطلاقة النحو العربي.

لذا فإن "الإعراب سمة أصيلة من سمات لغتنا؛ إذ به تتتيز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين، بل هم يفرقون بالحركات داخل بنية الكلمة الواحدة بين المعاني. وقوانين الإعراب هي المعوضة عن السليقة، والعاصمة من الزلل، وأي

هجوم على الإعراب يعد تهديدا لحصوصن العربية"[245] الإعراب له قيمة وفضل على اللغة العربية، فقوانين الإعراب جاءت لتقي من الزلل وتوؤدي دور السليقة التي غابت مع مرور السنين وابتعاد العربي عن فصاحته.

علم النحو:

يعد التعريف الذي قدمه ابن جني للنحو أكثر التعاريف انتشارا، ومن أكثرها دقة حيث يقول (النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إراب وغيره: كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير والنسب والإضافة، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها أو إن شذ بعضهم عنهم ردّ إليها)[246] وهو بهذا التعريف يحدد أن النحو هو مطابقة الكلام لكلام العرب، فما شذ عنه تم تصويبه بواصطة القواعد النحوية تفاديا للحن في اللغة.

الإعراب:

يعرف الإعراب بأنه (مصدر **أعربت**، وأعربت عن الشيء إذا أبنته، أو أفصحت أو أوضحت عنه... وأصل هذا كله قولهم **العرب** وذلك لما يعزى إليها من الفصاحة،والإعراب، والبيان. وأما في الاصطلاح فقد أعطي الإعراب تعريف عدة منها الإبانة عن معاني الألفاظ وأثر يجلبه العامل، وتغيُّر العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه، وما يقتضيه كل عامل. و**الإعراب** تغيير أواخر الكلمات بتغيير وظائفها النحوية ضمن الجملة. ويقابله **البناء** وهو لزوم آخر اللفظ علامة واحدة – في كل أحواله– لا تتغيّر مهما تغيّرت العوامل.

---

[245] – عبد الفتاح محمد حبيب، المنحو العربي بين الصناعة والمعنى، آيات للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1999، ص02.

[246] – ابن جني، الخصائص،ج1 ص103

واللفظ المعرب هو الذي يدخله الغعراب، أما المبني فهو الذي دخله البناء)[247] وفي هذا تفريق بين الإعراب والبناء في العربية.

وقد وضّح ابن فارس ظاهرة الإعراب في كتابه الصاحبي يقوله (من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الإعراب التي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه ما مُيّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجّب من استفهام ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد.)[248] أدرك القدماء العلماء قيمة الإعراب، فهاهو ابن فارس يقف على أهمية الإعراب في كتابه (الصاحبي) ويدلّل بمراتب الإعراب وآلياته.

فأصبح الإعراب من خصائص العرب والعربية (ولما أصابت العربية حظا من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، بل سر جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل، المعوضة عن السليقة، لأن الناس أدركوا حين بدأ اختلاطهم بالأعاجم أنهم لولا خلاطهم لهم لما لحنوا في النطق، ولا شذوا في التعبير، فقد كان يثقل على على هؤلاء الأعاجم إخراج أحرف الحلق وأحرف الإطباق بوضوح أصواتها في العربية، فإذا هم يحرفون مثلا **عربي** إلى **أربي** و**طرق** إلى **ترك** حتى شكا الناس من فساد الألسنة واضطرابها)[249] يقي الإعراب المتكلم من الوقوع في اللحن، بحكم ضوابطه وقوانينه المعوضة عن السليقة.

أهمية الإعراب وقيمته:

---

[247] – فقه اللغة العربية وخصائصها، إميل بديع يعقوب، ص 127-128

[248] – الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1997م، ص43

[249] – دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص .117

يعتبر الإعراب من العربية بمكان، حيث يجمع العماء على قيمته إلا من شذّ منهم "وأن لعلاماته وألقابه دلالات معينة، وأغراضا معنوية؛ فهي تدل على المعاني المختلفة التي تعتور الأسماء من فاعلية، أو مفعولية أو غير ذلك"[250] علامات الإعراب لها قيمة ودلالة معنوية لا ينكرها إلا جاحد لفضل اللغة العربية على متكلميها.

بهذا يكون الإعراب أحد أسرار قوة العربية فهو "أضحى أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، بل سرّ جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل، المعوّضة عن السليقة، لأن الناس أدركوا حين بدأ اختلاطهم بالأعاجم أنهم لولا خِلاطهم لهم لما لحنوا في نطق"[251] الإعراب مكمن من مكامن القوة، فهو يحميها من الزلل بحكم قوانينه وضوابطه، فولاه لطغت العجمة على العربي بسبب اختلاطه.

فنظام الإعراب "عنصر أساسي من عناصر اللغة العربية، وليس من إلهام عبقري، ولا من اختراع عالم، وإنما تكون في صورة تلقائية في أحقاب طويلة، كما يتكون اللؤلؤ في جوف الأصداف، وكما تتكون الأحجار الكريمة من فلذات الأرض الطيبة، وقد اشتملت عليه هذه اللغة منذ أقدم عهودها. وكل ما عمله علماء القواعد حياله هو أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصا من القرآن والحديث وكلام الفصحاء من العرب، ورتبوها، وصاغوها في صورة قواعد وقوانين"[252]

لهذا كون الإعراب "هو الإبانة عن المعاني بالحركات، أو الحروف... هو الأصل الأصيل في لغة العرب والقاعدة العظمى فيه، فالفاعل من جهة المعنى مرفوع، والمفعول من جهة المعنى منصوب، والاستفهام يعبر عنه باسم استفهام أو

---

[250] – إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته، ص406.

[251] – صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص118.

[252] – علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص165.

حرف، والاسم الواقع بعد حرف النداء هو المقصود نداؤه، والخبر هو الجزء الذي تتم به الفائدة..."[253] يقوم الإعراب بالإبانة عن المعاني بحكم الحركات الإعرابية التي تؤدّي دورا في المعنى.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1. الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تح مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د س.
2. محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، ط1، 2005

[253] – عبد الفتاح محمد حبيب، المنحو العربي بين الصناعة والمعنى، ص20.

3. إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط1، 1982.
4. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
5. حاتم الضامن، علم اللغة، بيت الحكمة، وزارة التعليم العالي، العراق، د ط، د س.
6. حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، د س.
7. إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982.
8. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لببنان، د ط، د س.
9. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط، 2009.
10. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، مصر، ط6، عام 1999.
11. محمد الشيخ عليو محمد، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية ق04هـ، مكتبة دار المناهج، السعودية، ط1، 1427هـ.
12. عبد الغفار حامد هلال، العربية وخصائصها وسماتها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5، 2004.
13. غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، عام 2000.
14. محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط، 2009.
15. محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه- موضوعاته- قضاياه، ،دار بن خزيمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005.
16. إميل بديع يعقوب فقه اللغة العربية وخصائصه، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1972م،
17. على عبد الواحد وافي، فقه اللغة ، دار نهضة مصر، ط3، 2004م.

18. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، دط، 2009م.
19. محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دط، 2009م.
20. رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط6، 1999م.
21. حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد،دط، 1990م.
22. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2000م
23. سعاد بسناسي، السمعيات العربية في الأصوات اللغوية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2012م،80، عن المنظومة الكلامية بيتر ب. دنيس، إليوت بنشن، تر: محمد محي الدين حميدي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1991م، ص 18 وما بعدها.
24. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط2، 2003مج1.
25. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2000م،
26. محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياه، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، ط1، 2005 .
27. منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1991.
28. مكّي درّار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار أم الكتاب، مستغانم،الجزائر، ط3، 2014،
29. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج7، تح مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، د ط، د س،

30. مكّي درّار وسعاد بسناسي ، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، دار أم الكتاب، مستغانم، الجزائر، ط3،2013
31. مكّي درّار و سعاد بسناسي ، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية.
32. ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تح محمد حسّان الطيّان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، سوريا، د ط، د ت.
33. إخوان الصّفا، رسائل إخوان الصّفا وخلاّن الوفا، ج4، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
34. مكّي درّار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، دار أم الكتاب، مستغانم، الجزائر، طبعة خاصة، 2012
35. صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، د ط، د س.
36. أحمد عبد التواب الفيومي، علم الدلالة اللغوية دراسة تطبيقية على القرآن الكريم، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة، ط1، 2010
37. ابن جنّي، الخصائص، ج2، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، د ط، د س،
38. العروض وإيقاع الشعر العربي، عبد الرحمن تبرماسين، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003م،
39. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، طبعة جديدة، دت
40. عبده الراجحي التطبيق الصرفي دار النهضة العربية،، بيروت ن لبنان، دط،1973
41. راجي الأسمر، المعجم المفصل في علم الصرف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993،

42. تحسين عبد الرضا، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة، الأردن، ط1، 2011
43. حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث
44. ياسر عتيق محمد علي، الدلالة السياقية ونظائرها عند الأصوليين وأهمّيتها في فهم مقصود الخطاب، جامعة عدن، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد 35، يوليو – ديسمبر ،2012، ص281.
45. طارق النعمان، اللفظ والمعنى بين الإيديولوجيا والتأسيس المعرفي، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1994،
46. علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي من أول القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 1992
47. محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994
48. توفيق محمد شاهين، المشترك اللفظي نظريا وتطبقيا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1980
49. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ط، د س، ص16.
50. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل،الأردن، ط1، سنة 2007م،
51. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ، دار العالم للملايين بيروت،لبنان، ط10 سنة 2004م، ص 299.
52. كلود جرمان و ريمون لوبلان، علم الدلالة، ترجمة نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق، سورية، دون طبعة، سنة 1994م
53. محمد نور الدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، سنة 1999م

54. محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004
55. وهبة الزجيلي، الوجيز في أصول الفقه ، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، سنة 1999م، ص 191.
56. جون لاين، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة ،عباس صادق الوهاب، مراجعة يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1 سنة 1987م، ص223.
57. أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د س
58. حسين نصار، مدخل إلى تعريف الأضداد، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2003، ص10.
59. عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 1997،
60. غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000
61. عقيد خالد حمّودي العزّاوي و عماد بن خليفة الدّايني البعقوبي، الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1، 2014
62. ابن جني، المنصف شرح كتاب التصريف للمازني، ج1، تح إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، مصر، ط1، 1954، ص03.
63. حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، جامعة بغداد، 1990، د ط،
64. فؤاد حنا طرزي، الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2005،
65. رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، مصر، ط6، 1999
66. عبد الغافار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، مكتبة وهبة، القاهرة ط5، 2004،
67. عبد القادر بن مصطفى المغربي، الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، 1908،

68. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح محمد أحمد جاد المولى بك و محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، ص351.
69. ابن الأنباري (أبو البركات) (ت577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج1، دار الفكر، د ط، د س
70. ابن السّرّاج (ت316هـ)، رسالة في الإشتقاق، تح محمد علي الدرويش و مصطفى الحدري، دمشق، 1982
71. محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، ط4، د س، ص332.
72. ف عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 2011،
73. مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د ط، 1982
74. سعدي ضنّاوي، المعجم المفصّل في المعرّب والدّخيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004،
75. عباس مشتاق، المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001
76. نذير جعفر، الدّخيل والأثيل في شعر أمية بن أبي الصَّلت دراسة لغوية دلالية مقارنة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، د ط، عام 2012، ص45.
77. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح محمد عبد الرّحيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2010
78. حلمي خليل، المعرّب والدّخيل في المعجم اللغوي التاريخي، مجلة المعجمية، تونس، ع 5-6، عام 1990
79. محمد محسن عبد العزيز، التّعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، د س

80. عبد الفتاح محمد حبيب، المنحو العربي بين الصناعة والمعنى، آيات للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1999
81. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1997م